فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ المحرم سنة ١٣٤٧ ه‍ ٢٥ برج السرطان سنة ١٣٠٧ ه‍ ش ١٧ يوليو سنة ١٩٢٨

تفسير القرآن الحكيم

(٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٦) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) هو النداء الالهي السادس للمؤمنين في هذه السورة وهو في إرشادهم الى القوة المعنوية للمقاتلين التي هي السبب الثالث للنصر والظفر . والفئة الجماعة وغلبت في جماعة المقاتلين والحماة الناصرين ، ولم يستعمل في التنزيل إلا بهذا المعنى حتى قوله تعالى في سورة النساء (٤ : ٨٧ فما لكم في المنافقين فئتين) فان المختلفين في شأنهم منهم من كان يقول بوجوب قتالهم لظهور نفاقهم وقتالهم على شركهم ومنهم من يقول بضده فهي

في موضوع القتال. ومنه قوله تعالى في سورة الكهف (فما له من فئة ينصرونه من دون الله) ومثله في سورة القصص . واللقاء يكثر استعماله في لقاء القتال أيضاً حتى قال الزمخشري انه غالب فيه وتبعه كثيرون . وكون اللقاء هنا لقاء يعين هذا المعنى الغالب ويبطل احتمال إرادة غيره

والمعنى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار وكذا البغاة في القتال فاثبتوا لهم ولا تفروا من أمامهم . ولم يصف الفئة لعلم بوصفها من قرينة الحال وهي أن المؤمنين لا يقاتلون إلا الكفار أو البغاة . فان الثبات قوة معنوية طالما كانت هي السبب الأخير للنصر والغلب بين الافراد أو الجيوش : يتصارع الرجلان الجلدان فيعيا كل منهما وتضعف منته ويتوقع في كل لحظة أن يقع صريعاً فيخطر له ان خصمه ربما وقع قبله فيثبت حتى يكون بثبات الدقيقة الأخيرة هو الصارع الظافر وكذلك كان جلاد فريقي دول أوربة في الحرب الأخيرة : فقد كل فريق منهما جميع نقوده ونفد عتاد حربه ووهنت قوى جنوده ومادة غذائه ، وهو يقول « إلى الساعة الأخيرة » حتى كان [illegible] الحلف البريطاني الفرنسي ومن معه يستغيث دولة الولايات المتحدة ويسألونها تعجيل الغوث بالايام والساعات لا بالشهور والاسابيع ، ثم كان له الغلب بأسباب أهمها وآخرها الثبات وعدم اليأس مما ذاقوا من بأس الحلف الالماني في الحرب ومخترعاتهم فيها من المدافع الضخمة والطيارات تمطرهم العذاب من فوقهم ، والغواصات تنسف بواخرهم وبوارجهم من أسفل منها الخ وكذلك يفيد الثبات في كل أعمال البشر فهو وسيلة النجاح في كل شيء .

﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ أي وأكثروا من ذكر الله في أثناء القتال وتضاعيفه ، اذكروه في قلوبكم بذكر قدرته ووعده بنصر رسله والمؤمنين ونصر كل من يتبع منتهم بنصر دينه وإقامة سننه ، وبذكر نهيه لكم عن اليأس ، مهما اشتد البأس ، وبأن النصر بيده ومن عنده ، ينصر من يشاء وهو القوي العزيز ، فمن ذكر هذا وتأمل فيه لا تهوله قوة عدوه واستعداده لاعانته بأن الله تعالى أقوى منه - واذكروه أيضاً بألسنتكم موافقة لقلوبكم بمثل التكبير الذي تستصغرون بملاحظة معناه كل ما عداه ، والدعاء والتضرع اليه عز وجل مع اليقين بأن لا يعجزه شيء .

﴿ لعلكم تفلحون ﴾ هذا الرجاء منوط بالأمرين كليهما أي ان الثبات وذكر الله تعالى هما السببان المعنويان للفلاح والفوز في القتال في الدنيا ثم في نيل الثواب في الآخرة . أما الأول فظاهر وقد بينا مثاله من الوقائع البشرية . وأما الثاني فأمثلته أظهر وأكثر ، ومن أظهرها مانزلت هذه الآية في سياقه وهذه السورة بجملتها في بيان حكمه وأحكامه وسنن الله فيه وهو غزوة بدر الكبرى وقد تقدم بيانه ، وقد كان الكفار يمترون في كون الايمان — ولا سيما الصحيح وهو ايمان التوحيد الخالي من الخرافات وما يستلزمه من التوكل على الله تعالى في الشدائد ودعائه واستغاثته — من أسباب النصر في الحرب ، ولكن هذا قد صار معروفا عند علماء الاجتماع وفلسفة التاريخ وعلم النفس وعند قواد الجيوش وزعماء السياسة ، ومما ذكروا من أسباب فلج البوير على الانكليز في وقائع كثيرة في حرب الترنسفال أن التدين في مقاتلتهم أكثر وأقوى منه في الجنود الانكليزية

وثبت أنه كان من أسباب انتصار الجيش البلقاني على الجيش التركي في حرب البلقان المشهورة ما [illegible] من الترك للأذان والصلاة من الجيش والاستعاضة [illegible] من وجوب الحرب للوطن وباسم الوطن ولشرف الوطن ـ فلما علموا بهذا أعادوا المؤذنين والائمة بعمائمهم الى كل تابور وأقاموا الصلاة فيهم . وقد روت الجرائد ان العساكر لما سمعت الأذان صارت تبكي بكاء بنشيج عال كان له تأثير عظيم ، وكان تأثير ذلك بعود الكرة لهم على البلغار ظاهرا ، وقد ذكرنا هذين الشاهدين في المنار كل واحد في وقته ، وسوف يرى الترك سوء عاقبة كفر حكومتهم ومحاولتها إفساد دين شعبها عليه

وقد نشرنا في (ص ٨٤٦ و٨٤٧) من مجلد المنار الاول حديثاً للبرنس بسمارك وزير ألمانية ومؤسس وحدتها الذي انتهت اليه زعامة السياسة والتفوق في أوربة على جميع ساسة الأمم في عصره قال فيه: ان من تأثير الايمان في قلوب الشعب ذلك الشعور الذي ينفذ الى أعماق القلوب باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن ولو لم يكن هناك أمل في المكافأة ، وعلله بقوله « ذلك لما استكنّ في الضمائر من بقايا الايمان ، ذلك لما يشعر به كل أحد من أن واحداً مهيمنا يراه وهو يجاهد

ويجاهد ويموت وإن لم يكن قائده يراه »

فقال له بعض المرتابين : أتظن سعادتكم ان العساكر يلاحظون في أعمالهم تلك الملاحظة ؟ فأجابه البرنس : ليس هذا من قبيل الملاحظات وانما هو شعور ووجدان وهو بوادر تسبق الفكر ، هو ميل في النفس وهوى فيها كأنه غريزة لها . ولو أنهم لاحظوا لفقدوا ذلك الميل وأضاعوا ذلك الوجدان .

« هل تعلمون أنني لا أفهم كيف يعيش قوم وكيف يمكن لهم أن يقوموا بتأدية ماعليهم من الواجبات أو كيف يحملون غيرهم على أداء مايجب عليهم — إن لم يكن لهم إيمان بدين جاء به وحي سماوي ، واعتقاد بإله يحب الخير ، وحاكم ينتهي اليه الفصل في الاعمال في حياة بعد هذه الحياة ؟

ثم ساق الوزير كلامه على هذا النمط بأسلوب آخر وهو الكلام عن نفسه فشرح للمخاطبين انه لولا ايمانه بالله وبالحساب في الآخرة لما كان يخدم سلطانه وحكومته ولما أجهد نفسه بتأسيس الوحدة الالمانية وتشييد عظمتها وانه يفضل المعيشة الخلوية في مزارعه [illegible] جمهوري بالطبع الخ والشاهد في كلامه تأثير الايمان في القتال [illegible] كلامه لانه حجة على ملاحدتنا دعاة التجديد بترك الدين اتباعا بزعمهم الكاذب لأهل أوربة

هذا وان الله تعالى قد أمر عباده المؤمنين بالاكثار من ذكره وحثهم عليه ووصف الصادقين به في آيات أخرى كما وصف المنافقين بقلته لأن الذكر غذاء الايمان فلا يكمل إلا بكثرته فمن غفل عن ذكره تعالى استحوذ الشيطان على قلبه وزين له الشرور والمعاصي . وللزمخشري كلمة بليغة في هذا الأمر بالذكر هنا وفي السلف الصالح وما كانوا عليه من الاهتداء به قال : وفيه اشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل مايكون قلبا ، وأكثر مايكون هما ، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره ، وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ، ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الامر اه

(وأطيعوا الله ورسوله) أطيعوا الله في هذه الاوامر المرشدة الى أسباب الفلاح في القتال وفي غيرها ، وأطيعوا رسوله فيما يأمر به وينهى عنه من شؤون القتال وغيرها من حيث إنه هو المبين لكلام الله الذي أنزل اليه على ما يريده تعالى منه والمنفذ له بالقول والعمل والحكم ، ومنه ولاية القيادة العامة في القتال ، فطاعة القائد العام هي جماع النظام الذي هو ركن من أركان الظفر فكيف اذا كان القائد العام رسول الله المؤيد من لدنه بالوحي والتوفيق ، والمشارك لكم في الرأي والتدبير والاستشارة في الامور ، كما ثبت لكم في هذه الغزوة ثم في غيرها ، وقد كان لكم من العبرة في ذلك ان الرماة عند ما خالفوا أمره (ص) في غزوة أحد كر المشركون عليهم ، ونالوا ما نالوا منهم ، بعد أن كان لهم الظهور عليهم . وأنزل الله تعالى في استغرابهم ذلك (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) هذا النهي مساوق الامر بالثبات وكثرة الذكر و [illegible] الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل وهو الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر وأكثر أسبابه الضعف والجبن ولذلك فسروه هنا بهما ، وأصل التنازع كالمنازعة المشاركة في النزع وهو الجذب وأخذ الشيء بشدة أو لطف كنزع الروح من الجسد ، ونزع السلطان العامل من عمله ، كأن كل واحد من المتنازعين يريد أن ينزع ما عند الآخر من رأي ويلقي به ، أو من نزع الى الشيء نزوعاً اذا مال اليه ، فكأن كل واحد من المتنازعين في الأمر يميل الى غير ما يميل اليه الآخر ، وهذا أظهر هنا .

وأما قوله تعالى (وتذهب ريحكم) فمعناه تذهب قوتكم وترتخي أعصاب شدتكم فيظهر عدوكم عليكم . والريح في اللغة الهواء المتحرك وهي مؤنثة وقد تذكر بمعنى الهواء وتستعار للقوة والغلبة إذ لا يوجد في الاجسام أقوى منها فانها تهيج البحار وتقتلع أكبر الاشجار وتهدم الدور والقلاع ، وقال الاخفش وغيره تستعار للدولة لشبهها بها في نفوذ أمرها . ويقولون هبت « رياح فلان » اذا دالت له الدولة وجرى أمره على ما يريد كما يقولون ركدت ريحه أو رياحه اذا ضعف أمره وولت دولته .

﴿ واصبروا ان الله مع الصابرين ﴾ أي واصبروا على ماتكرهون من شدة وما تلاقون من بأس العـدو واستعداده وكثرة عدده وغير ذلك ، إن الله مع الصابرين بالمعونة والتأييد ، وربط الجأش والتثبيت ، ومن كان الله معه فلا يغلبه شيء ، فالله غالب على أمره وهو القوي العزيز الذي لايغالب . وقد جاءت هذه الجملة في آية من سورة البقرة وهي (واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) فيراجع تفسيرها هنالك (ص ٣٨ ج ٢) بل يراجع تفسير الآية من أولها (ص٣٤) وكذا تفسير (٢ : ٤٥ واستعينوا بالصبر والصلاة قبلها (ص٢٩٥ ج ١) وهنالك تفسير كلمة الصبر ووجه الاستعانة به على مهمات الأمور كلها ولا سيما القتال

(٤٧) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٨) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٩) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

بعد أن أمر الله تعالى عباده المؤمنين بما أمر به من جلائل الصفات وأحاسن الاعمال ، التي جرت سنته بأن تكون سبب الظفر في القتال ، ونهاهم عن التنازع ـ نهاهم عما كان عليه خصومهم من مشركي مكة حين خرجوا لحماية العير من الصفات الرديئة ، وذكر لهم بعض أحوالهم القبيحة فقال

﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ﴾ البطر كالأشر وهما مصدر بطر وأشر (كفرح) ضرب من إظهار الفخر والاستعلاء بنعمة القوة أو الغنى أو الرياسة يعرف في الحركات المتكلفة والكلام الشاذ ـ ويفسر اللغويون

أحدهما بالآخر - وقال الراغب : البطر دهش يعتري الانسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها ، وصرفها الى غير وجهها - ثم قال - ويقارب البطر الطرب وهو خفة أكثر ما يعتري من الفرح ، وقد يقال ذلك في الترح . اه والرئاء مصدر راءى زيد عمرا وراءى الناس مراآة ورئاء - وتقلب الهمزة ياء فيقال رياء كأمثاله - وهو بناء مشاركة من الرؤية ، والمراد منه أن يعمل المرء ما يحب أن يراه الناس منه ويثنوا عليه ويعجبوا به وإن كان تلبيساً ظاهره غير باطنه . وقال بعضهم هو اظهار الحسن واخفاء القبيح أي لاجل الثناء والاعجاب

والمعنى : امتثلوا ما أمرتم به من الفضائل ، وانتهوا عما نهيتم من الرذائل ، ولا تكونوا كأعدائكم المشركين الذين خرجوا من ديارهم في مكة وغيرها من الأماكن التي استنفرهم منها أبو سفيان - بطرين بما أوتوا من قوة ونعم لم يستحقوها ، أو كفروا نعمة الله مرائين الناس بها ، ليعجبوا بهم ويثنوا عليهم بالغنى والقوة والشجاعة والمنعة ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ أي والحال أنهم يصدون بخروجهم عن سبيل الله وهو الاسلام وحمل الناس على عداوة الرسول (ص) والاعراض عن تبليغ دعوته وتعذيب من أجابها اذا لم يكن لهم من يمنعهم ويحميهم من قرابة أو حلف أو جوار ﴿ والله بما يعملون محيط ﴾ علماً وسلطانا فهو يجازيهم عليه في الدنيا والآخرة بمقتضى سننه في ترتيب الجزاء على صفات النفس .

قال البغوي في تفسير الآية من معالم التنزيل : نزلت في المشركين حين أقبلوا الى بدر ، ولهم بغي وفخر ، فقال رسول الله (ص) « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني » قالوا ولما رأى أبو سفيان انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش : إنكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجاها الله فارجعوا . فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً — وكان موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام - فنقيم ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا . فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر ، وناحت عليهم

النوائح مكان القيان. فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه (ص) اهـ

﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ أي واذكر أيها الرسول المؤمنين إذ زين الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته وقال لهم بما ألقاه في هواجسهم: لا غالب لكم اليوم من الناس لا أتباع محمد الضعفاء ولا غيرهم من قبائل العرب فأنتم أعز نفراً وأكثر نفيراً وأعظم بأساً، وإني مع هذا – أو والحال إني – جار لكم، قال البيضاوي في تفسيره: وأوهمهم ان اتباعهم إياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين اهـ

﴿ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ﴾ أي فلما قرب كل من الفريقين المتقاتلين من الآخر وصار بحيث يراه ويعرف حاله وقبل أن يلقاه في المعركة ويصطلي نار القتال معه نكص أي رجع القهقرى وولى الأدبار، وهو جهة العقبين (أي مؤخري الرجلين) وأخطأ من قال من المفسرين إن المراد بالتراءي التلاقي، والمراد انه كف عن تزيينه لهم وتغريره إياهم، فخرج الكلام مخرج التمثيل بتشبيه وسوسته بما ذكر بحال المقبل على الشيء، وتركها بحال من ينكص عنه ويوليه دبره. ثم زاد على هذا ما يدل على براءته منهم وتركه إياهم وشأنهم وهو ﴿ وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله ﴾ أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة ﴿ والله شديد العقاب ﴾ يجوز أن يكون هذا من كلامه ويجوز أن يكون مستأنفاً.

تفسير الآية بوسوسة الشيطان وإغوائه المشركين وتغريره بهم قبل تقابل الصفوف وتراءي الزحوف وبتخليه عنهم بعد ذلك رواه ابن جرير عن ابن عباس والحسن البصري، وخرجه علماء البيان من المفسرين كالزمخشري والبيضاوي بنحو مما ذكرنا وهو لا يخلو من تكلف في الجمل الأخيرة إلا أن يقال انه لما نكص على عقبيه تبرأ منهم وقال ما قال في نفسه لا لهم، ومثل هذا الخطاب لا يتوقف على

سماع المخاطبين له حتى في خطاب الناس بعضهم لبعض ومثله قوله تعالى (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر، فلما كفر قال اني بريء منك إني أخاف الله) قال ابن عباس لما كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين وألقى في قلوب المشركين ان أحداً لن يغلبكم، واني جار لكم. فلما التقوا ونظر الشيطان الى إمداد الملائكة (نكص على عقبيه) قال رجع مدبراً وقال إني أرى مالا ترون ـ الآية. ومثله قال الحسن

أقول: معنى هذا أن جند الشيطان الخبيث كانوا منبثين في المشركين يوسوسون لهم بملابستهم لأرواحهم الخبيثة مايغريهم ويغرهم كما كان الملائكة منبثين في المؤمنين يلهمونهم بملابستهم لارواحهم الطيبة مايثبتون به قلوبهم ويزيدهم ثقة بوعد الله بنصرهم كما تقدم شرحه في تفسير آية (١٢ اذ يوحي ربك الى الملائكة) الخ فلما تراءت الفئتان وأوشك أن يتلاحما فر الشيطان بجنوده من بين المشركين لئلا تصل اليهم الملائكة الملابسة للمؤمنين وهما ضدان لايجتمعان ولو اجتمعا لقضى أقواهما وهم الملائكة على أضعفهما وهو الشيطان اذا كان من إحراق الملائكة لجنوده لا على المشركين كما يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق

وقد بينا في مواضع من هذا التفسير وغيره ان العوالم الروحية الخفية كعوالم العناصر المادية منها المؤتلف والمختلف، ومنها مايتحد بغيره فيتألف منهما حقيقة واحدة كحقيقة الماء والهواء، ومنها مالا يتحد بعضه ببعض ولا يجتمعان في حيز واحد (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)

وعن ابن عباس قول آخر هو ان الشيطان تمثل في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم سيد بني مدلج وقال للمشركين ماقصته الآية الكريمة أولا وآخراً. قال ابن إسحاق حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ان إبليس خرج مع قريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فلما حضر القتال ورأى الملائكة

نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم ، فتشبث به الحارث بن هشام فنخر في وجهه فخر صعقا ، فقيل له ويلك ياسراقة على هذه الحال تخذلنا وتبرأ منا ؟ فقال (إني بريء منكم) الخ وروى عنه علي بن أبي طلحة ما أوله مثل رواية ابن جرير إلا أنه زاد « في صورة رجل من بني مدلج » وذكر فيها أنه رأى رمي النبي (ص) المشركين بقبضة التراب فهزمتهم منها ثم قال: فأقبل جبريل عليه السلام الى إبليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل ياسراقة أتزعم انك لنا جار ؟ فقال (إني أرى مالا ترون) الخ

(أقول) أما الكلبي فروايته التفسير عن ابن عباس هي أوهى الروايات وأضعفها كما قال المحدثون . قالوا فان انضم اليها رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب . وأما علي بن أبي طلحة فروايته عنه أجود الروايات إلا أنهم أجمعوا على انه لم يسمع منه وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير ولا خلاف في كونهما من الثقات في هذا الشأن ولكن ابن عباس كان يوم بدر ابن خمس سنين فروايته لأخبارها منقطعة ولا يبعد أن تكون من الاسرائيليات

وروى ذلك الواقدي عن عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس والواقدي غير ثقة في الرواية . وروي أيضا من غير ابن عباس، وفي الروايات شيء من الاختلاف ، وأصلها انه كان بين قريش وبين بني بكر عداوة وحرب سابقة فخافوا أن يقاتلوهم في أثناء قتالهم النبي (ص) والمؤمنين فرئي سراقة أكبر زعمائهم مع المشركين يضمن لهم ما كاد يثنيهم عن الخروج . وخرج معهم يثبتهم ويقول: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، ثم رئي عند تراني الفئتين هاربا متبرئا منهم فلما رجع فلهم الى مكة كانوا يقولون هزم الناس سراقة . فقال بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس ! فوالله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم . فقالوا ما أتيتنا في يوم كذا ؟ فحلف لهم . فلما أسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان . فهذا والله أعلم سبب تخريج هؤلاء المفسرين رواياتهم على ان الذي رئي انما كان الشيطان متمثلا . والمختار عندنا في تفسير الآية هو مارواه ابن جرير عن ابن عباس من طريق ابن جريج وهو ماعلمت آنفا ومارواه عن الحسن أيضاً وقدمه

أهل التفاسير المشهورة وهو ان الشيطان ألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم الخ وتقدم

قد كان وقت تغرير الشيطان بالمشركين وإيهامهم انه لا غالب لهم من الناس في ذلك اليوم هو عينه وقت تعجب المنافقين ومرضى القلوب في الدين من إقدام هذا العدد القليل الفاقد لكل استعداد حسي من أسباب الحرب على قتال ذلك العدد الكثير الذي يفوقه ثلاثة أضعاف في العدد مع كونه لاينقصه من الاستعداد للحرب شيء ، لأن العلة واحدة ، فذلك قوله تعالى (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) فالظرف هنا متعلق بزين لهم الشيطان أعمالهم ، والمنافقون هم الذين يظهرون الاسلام ويسرون الكفر ، والذين في قلوبهم مرض هم ضعاف الايمان تثور بهم الشكوك والشبهات تارة فتزلزل اعتقادهم وتسكن تارة فيكونون كسائر المسلمين ، ولم يميز أهل اليقين من الضعفاء إلا الامتحان بمثل هذه الشدائد ، لم ير المنافقون ومن هم على مقربة منهم من مرضى القلوب علة يعللون بها هذا الاقدام من المؤمنين [illegible] الانصاف إن هذا لأقرب تعليل معقول لاستسلام المؤمنين [illegible] والثقة به والتوكل عليه

ومن المعلوم مما ورد في « أهل بدر » من آيات هذه السورة ومن الاحاديث الصحيحة والحسنة أنه لم يكن فيهم أحد من أولئك المنافقين ولا من الذين في قلوبهم مرض فان ضعفاءهم قد محصهم الله بما كان من جدالهم النبي (ص) ومصارحتهم له في كراهة القتال قبل وقوعه وباقتناعهم بجوابه لهم كما تقدم ـ ثم أتم تمحيصهم بخوضهم المعركة ، فهم من الذين وصفهم المنافقون والذين في قلوبهم مرض بأنه غرهم دينهم ، وهل يعقل أن يقول أحد منهم في المؤمنين « غرهم دينهم » وهو يبرئ من عد أنفسهم من أهل هذا الدين ؟ فان صح ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس انه قال « هم يومئذ في المسلمين » يكون أراد به أنهم كانوا معدودين في جملتهم لا أنهم كانوا في القراة ، وإلا كان خطأ مردوداً وابن عباس لم يكن في سنه يوم بدر يميز هذه المسائل بنفسه ، والرواية عنه فيها كما علمت آنفا

وروي عن مجاهد وابن جريج والشعبي وابن إسحاق ومعمر أن هؤلاء

المصريين المنفيين يوماً وقال انه توفي والده وانه لا بد له من العناية اللائقة به في تجهيزه وليس في يده ما يكفي لذلك . قال الشيخ وكنت قبضت راتبي الشهري من المدرسة السلطانية لم أعط منه شيئاً للتجار الذين نأخذ منهم مؤنة الدار فقدته إياه كله على علمي بحاجته اليه كله ، ووكلت امري وأمر اسرتي الى الله تعالى فلم يمر ذلك النهار إلا وقد جاءتني حوالة برقية بمبلغ أكبر من راتب المدرسة كان ديناً لي قديماً على رجل اعياني أمر تقاضيه منه وأنا فيما محتاج بما تعلم من النقود ، وكتبت اليه بعد سفري مراراً أتقاضاه منه مستشفعاً بعذر الحاجة حتى يئست منه ، فهل كان ارساله إياه في ذلك اليوم بتحويل برقي إلا تسخيراً منه تعالى بعنايته الخاصة ؟

(أقول) إنني أراني غير خارج بهذه الامثال عن منهج هذا التفسير المراد به التفقه والاعتبار ، وأنا أرى الناس يزداد إعراضهم عن الدين والاهتداء بالقرآن ، وتقل فيهم القدوة الصالحة ،

---

(٥٠) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥٢) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٤) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ

(ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) هذا بيان لبعض مضمون قوله تعالى في الآية التى قبل الاخيرة (والله شديد العقاب) ومعناه ولو رأيت أيها

الرسول - أو الخطاب لكل من سمعه أو يتلوه - إذ يتوفى الذين كفروا من قتلى بدر وغيرهم (ومعلوم أن « لو » الامتناعية ترد المضارع ماضياً) الملائكة العذاب حالة كونهم ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ أي ظهورهم وأقفيتهم بجملتها - وهو ضرب من عالم الغيب بأيدي الملائكة فلا يقتضي أن يراه الناس الذين يحضرون وفاتهم، كأنهم لا يسمعون كلامهم عندما يقولون لهم ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ - لو رأيت ذلك لرأيت أمراً عظيماً، يرد الكافر عن كفره والظالم عن ظلمه، اذا هو علم عاقبة أمره.

والمراد بعذاب الحريق عذاب النار الذي يكون بعد البعث. وروي أن ضرب الوجوه والادبار كان يبدر : كان المؤمنون يضربون ما أقبل من المشركين من وجوههم والملائكة تضرب أدبارهم من ورائهم. وقد علمت مما تقدم من التحقيق أن الملائكة لم تقاتل يوم بدر وإنما كانت مثبتة للمؤمنين، فلا تغرنك الروايات، ومنها حديث الحسن البصري عند ابن جرير قال : قال رجل يارسول الله : اني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشوك فقال « ذاك ضرب الملائكة » ولعلك تعلم أن مراسيل الحسن البصري رحمه الله عند المحدثين كالريح أي لا يعتمد منها على شيء.

ويؤيد القول الظاهر بأن هذا من عذاب الآخرة قوله لهم ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ أي ذلك العذاب الذي ذقتم وتذوقون بسبب ما كسبت أيديكم في الدنيا فقدمتموه إلى الآخرة من كفر وظلم وهو يشمل القول والعمل سواء كان من عمل الايدي أو الارجل أو الحواس أو تدبير العقل - كل ذلك ينسب إلى عمل الايدي توسعاً وتجوزاً، وأصله أن أكثر الاعمال البدنية تزاول بها.

﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ أي وبأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد فيكون ذلك العذاب ظلماً منه على تقدير عدم وقوع سببه من كسب أيديكم، ولكن سبب ذلك منكم ثابت قطعا، كما أن وقوع الظلم منه لعبيده منتف قطعا، فتعين أن تكونوا أنتم الظالمين لأنفسكم قطعا، فلوموها فلا لوم لكم إلا عليها : وفي الحديث القدسي الذي يرويه الرسول ﷺ عن ربه « ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » الخ رواه مسلم من حديث أبي ذر (رض) والحق أن الظلم حقيقة وأنه تعالى منزه عنه كتنزهه عن سائر النقائص وما ينافي كمال الربوبية

والالوهية، لا لاستحالة وقوعه عقلا لان معناه التصرف في ملك الغير ولاملك لغيره تعالى - كما قالت الاشعرية - وهو خطأ في تعريف الظلم وخطأ في أصل المسألة بيناه من قبل

هذا التعبير بعينه (ذوقوا عذاب الحريق - إلى - للعبيد) قد تقدم في سورة آل عمران (٣: ١٨٠ و ١٨١) فيراجع تفسيره في (ص٢٦٥ و٢٦٦ ج٣) ومنه بيان نكتة نفي المبالغة في الظلم مع أن الظلم قليله وكثيره لايقع منه تعالى، ويراجع في بيان هذا أيضاً تفسير (٤: ٣٩ ان الله لا يظلم مثقال ذرة) في ص١٠٥-١١٨ ج٥)

ونكتة هذا التكرار اللفظي بيان أن هذه الحجة الالهية تقام في الآخرة على جميع الكفار المجرمين بهذا القول فليست خاصة بحال أناس أو قوم دون آخرين ، وما سبق في سورة آل عمران ورد في اليهود الذين عاندوا النبي ﷺ وجحدوا نبوته كما آذوا النبيين قبله وكانوا يقتلونهم بغير حق على ما كان من بخلهم وقول بعضهم (إن الله فقير ونحن أغنياء) ويتضح هذا المعنى بما بعده وهو

﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ﴾ أي دأب هؤلاء وشأنهم الثابت لهم - والدأب الاستمرار على الشيء - كدأب آل فرعون والذين من قبلهم من الفراعنة وسائر الملوك العتاة واقوام الرسل في التاريخ، وقد فسره بقوله تعالى ﴿ كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ ولم يظلم أحداً منهم مثقال ذرة ونصر رسله والمؤمنين بهم عليهم، على ما بين الفريقين من تفاوت في العدد والعدد وسائر الاسباب، فكما كان دأبهم واحداً كانت سنة الله فيهم واحدة فنصره تعالى لرسوله والمؤمنين في بدر هو مقتضى تلك السنة ﴿ إن الله شديد العقاب ﴾ لمن يستحق عقابه ولكن لكل شيء عنده أجلا قال ﷺ « إن الله تعالى ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه من حديث أبي موسى (رض)

وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة آل عمران (٣: ١٠) إلا أنه قال فيها (كفروا بآياتنا) والنكتة في هذا التكرار بيان أنه سنة الله مطرد . والفرق بين الموضعين أن آية آل عمران في الكفار المغرورين بكثرة أموالهم وأولادهم المحتقرين للرسل وأتباعهم من ضعفاء المؤمنين بفقرهم وضعف عصبيتهم النسبية . وأما آية

الانفال فهي في الكفار المغرورين بقوتهم وبأسهم المحتقرين للمؤمنين بعقد ذلك وهي سابقة في النزول

﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ أي ذلك الذي ذكر من أخذه تعالى لقريش بكفرها لنعم الله عليها التي أتمها ببعثة خاتم رسله منهم كأخذه للأمم قبلهم بذنوبهم مؤيد بأمر آخر يتم به عدله تعالى وحكمته وهو انه لم يكن من شأنه ولا مقتضى سنته أن يغير نعمة ما أنعمها على قوم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الأحوال التي استحقوا بها تلك النعمة ﴿ وإن الله سميع عليم ﴾ سميع لأقوالهم عليم بأحوالهم وأعمالهم محيط بما يكون من كفرهم النعمة فيعاقبهم عليه

(فصل في بيان سنته تعالى في تغيير أحوال الأمم)

هذا بيان لسنة عظيمة من أعظم سنن الله تعالى في نظام الاجتماع البشري يعلم منها بطلان تلك [illegible] عقول الناس من جميع الامم ، ولا يزال جماهير الناس [illegible] في ما يتعلق بسعادة الامم وقوتها وغلبها وسلطانها بسعة الثروة ، وكثرة حصى الامة ، كما قال الشاعر العربي :

ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر

وكان من غرورهم بها أن كانوا يظنون أن من أوتيها لا تسلب منه ، وأنه كما فضله الله على غيره بابتدائها ، كذلك يفضله بدوامها (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين) وقد بينا غرور البشر بهذه الظواهر في مواضع من هذا التفسير. ثم ظهر أقوام آخرون يرون ان الله تعالى يحابي بعض الامم والشعوب على بعض بنسبها ، وفضل بعض أجدادها على غيرهم بنبوة أو ما دونها ، فيؤتيهم الملك والسيادة والسعادة لأجل الانبياء الذين ينتسبون الى ملتهم ولا سيما اذا كانوا من آبائهم ، كما كان شأن بني اسرائيل في غرورهم وتفضيل أنفسهم على جميع الشعوب بنسبهم ، وكما فعل الذين اتبعوا سنتهم من النصارى ثم المسلمين . بالغرور في الدين ، ودعوة اتباع النبيين ، وبكرامات الاولياء والصالحين ، وإن كانوا لهم من أشد المخالفين . فبين

الله تعالى لكل قوم خطأهم بهذه الآية وعاسبق في معناها وهو أعم منها في سورة الرعد من قوله (١٣ : ١٢ ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وأثبت لهم أن نعم الله تعالى على الاقوام والامم منوطة ابتداء ودواما بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها فما دامت هذه الشؤون لاصقة بأنفسهم متمكنة منها كانت تلك النعم ثابتة بثباتها ، ولم يكن الرب الكريم لينزعها منهم انتزاعا بغير ظلم منهم ولا ذنب، فاذاهم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والاخلاق، وما يترتب عليها من محاسن الاعمال، غير الله عند ئذ ما بأنفسهم وسلب نعمته منهم، فصار الغني فقيراً، والعزيز ذليلا ، والقوي ضعيفا . هذا هو الأصل المطرد في الاقوام والامم ، وهو كذلك في الافراد إلا انه غير مطرد فيهم لقصر أعمار كثير منهم دون تأثير التغيير حتى يصل الى غايته

ان العقائد الدينية الصحيحة والخرافية آثاراً في وحدة الأمة وتكافلها وقوة سلطانها أو ضعفه ولا تظهر الفروق بينها في الوجود إلا بوقوع التنازع بين أمتين مختلفتين فيها . وان الاخلاق الشخصية التي تتحقق بكثرة [illegible] منها ما يسمى خلقا للامة أو الشعب مثل ذلك في الحكومة وسلطانها وفي ثروتها وعزتها أيضا ، ويظهر ذلك في سيرة كل أمة ودولة ذات تاريخ معروف، ومن اطلع على كتب (الدكتور غوستاف لوبون) الاجتماعي الكبير في علم الاجتماع يجد فيها شواهد كثيرة على هذه القواعد أظهرها مايبينه من الفروق بين فرنسة وانكلترة - وبين الشعوب اللاتينية والشعوب «الأنجلوسكسونية» عامة - في الاخلاق وما لذلك من الآثار في حياة الفريقين الاجتماعية والسياسية والاستعمارية والتجارية

ومن كلامه في تأثير الاخلاق في ترقي الامم وتدليها وقوتها وضعفها على الاطلاق قوله في الفصل الثالث من كتابه (روح الاشتراكية) وموضوعه (نفسية الشعوب) : وأذكر هنا ما أشرت اليه كثيراً في كتبي الاخيرة وهو أن الامم لا تنحط وتزول اذا تناقص ذكاء أبنائها بل اذا سقطت أخلاقها . هذه سنة طبيعية جرت أحكامها على اليونان والرومان وأخذت تجري في هذه الايام أيضا ، لا يزال أكثر الناس لا يفقهون هذا القول ويجادلون في صحته ، غير انه أخذ ينتشر وقد رأيته

مفصلا في كتاب وضعه حديثاً الكاتب الانكليزي (المستر بنيامين كيد) ولا أرى كتأييد قضيتي أفضل من اقتباس بعض عبارات منه يبين فيها ـ منصفا غير محاب ـ الفرق بين الخلق (الانجلوسكسوني) والخلق الفرنسوي ونتائج هـذا الفرق اهـ (ص ١٠٤ و ١٠٥) من الترجمة العربية

ثم أورد شواهد منه على ما أشار اليه من مراده وبيان تفوق الانكليز على الفرنسيس بأخلاقهم . فان فساد الاخلاق الذي أهلك الامم التاريخية الشهيرة كالفرس واليونان والرومان والعرب قد دب الى الافرنج وكان بدء فتكه باللاتين ولا سيما الفرنسيس منهم فقل نسلهم وصاروا يرجعون القهقرى أمام الانكليز واخوانهم الاميركانيين في كل شيء ، ثم الالمان الذين فاقوا الفريقين

وقد دب هـذا الفساد الاخلاقي الى الانكليز أيضاً كما صرح بذلك أعظم فلاسفتهم (هربرت سبنسر) الشهير لأستاذنا الشيخ (محمد عبده) وسبق نقله في هذا التفسير[1] من أن الافكار المادية التي أفسدت أخلاق اللاتين في أوربة قد دبت الى الانكليز وأخذت تفتك بأخلاقهم [illegible]

ومن الغريب أن تكون هذه المسألة مما يجهله أكثر المسلمين في هذا العصر بعد اتساع نطاق علم الاجتماع وكثرة المصنفات فيه وكثرة مايكتب في الصحف العامة في موضوع الاخلاق وتأثيرها في أحوال الافراد والامم، حتى قال غوستاف لوبون : أكثر الناس لايفقهون هـذا القول بل يجادلون في صحته . فالمسألة على كونها صارت معروفة للجماهير لاتزال موضع مراء وجدال عند الأكثرين لانها من مسائل العلم الصحيح العالي التي لايفقهها إلا أصحاب البصيرة النافذة ، والمعرفة المحصة. ولو فقهها الجمهور لكان لها الاثر الصالح في أعماله . وانا نرى الألوف في بلادنا يتمثلون بقول أحمد شوقي بك أشهر شعراء العصر

وانما الأمم الاخلاق مابقيت * فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يتمثلون به معجبين لانهم يفهمون مدلول ألفاظه وشرف موضوعه ولكن أكثرهم لايفقهون حكمته الفلسفية العملية وماذا يكون من تأثير فساد كل خلق

(١) ص ٣٢١ ج ٩ تفسير

من أخلاق الفضائل في أعمال الافراد ثم في ضعف الامة وانحلالها . ذلك الفقه الذي حققنا معناه في تفسير قوله تعالى من سورة الاعراف (٧: ١٧٩ ولقد خلقنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها) فراجعه مع بيان مراتب السماع والفهم من تفسير الآيات ١٩ — ٢١ من هذه السورة

ان من الاخلاق مالا يجادل أحد في حسنه في نفسه وفي استقامة المعاملات العامة في الامة به كالصدق والامانة والعدل وإن امترى كثيرون أوماروا في كونها دعائم أسباب النجاح والفلاح في المعيشة أو الترقي في مناصب الحكومة ، ولكن قلما يجهل أحد من أذكياء هؤلاء المغترين في فساد الجامعة أو الشركة أو الحكومة التي يرتقي العامل فيها بالكذب ، والخيانة والظلم ، واذا بلغ قوم هذه الغاية من الفساد ألفوه وعدوه من ضروريات الحياة ولم تصدقوهم تتوجه إلى الخروج منه باصلاح ما بأنفسهم وانما يتلافون من شره ما يخطئون ببعض النظم والقوانين الصورية

وإن من الاخلاق الكريمة ما صار المفسدون يجادلون في حسنه وكونه من الفضائل [illegible] بمجموع الامة كالحياء والرحمة والعفة : يقولون ان الحياء ضعف في النفس وكذلك الرحمة ، وهذا خطأ لا محل هنا لبيانه وهو قديم وانما الجديد الذي لم يطرق مسامعنا قبل هذه الايام هو المراء في فضيلة العفة فان دعاة الفساد الذي يسمونه تجديد الامة قد اقترفوا هذه الجريمة ولا غرو فان من أركانه عندهم تهتك النساء، وامتزاجهن بالرجال في الملاعب والمراقص والمسارح والمسابح (مواضع السباحة في البحر) فقد كتب أحدهم في بعض الصحف الناشرة لدعايتهم ان العفة يختلف معناها باختلاف معارف الناس ورقيهم وأذواقهم وتقدمهم في الحضارة ، ومن ذلك ان المرتقين الآن لا يعدون رقص النساء مع الرجال منافياً للعفة ولا مخلاً بها . ووثب كاتب آخر منهم وثبة أخرى فقال انه قد ظهر في هذا الزمان ان إرخاء العنان للشهوات البدنية لا يضر في الجسد ولا في النفس ولا يخل بالآداب، ولا يضعف الامة عدم التزام الاديان والشرائع فيه — قال المفسد قاتله الله ، وقد ثبت هذا بالتجربة في الامة الاميركانية فظهر به خطأ المتقدمين فيه ، وهذا زعم باطل يتقرب به قائله الى

المسرفين من الفساق ، ولا يزال الاطباء والحكماء يحضون على هدم الاسراف في الشهوات لبناء البنية بما يولده من الضعف والامراض، كما أنه مفسد للآداب والاخلاق

مازال البشر يمارون في كل شيء حتى الحسيات والضروريات وأما الكلام المقبول في كل موضوع لعلماء أهله ، ألم تر انهم يمارون في مضار شرب الخمر ويدعون نفعها والاطباء المحققون يثبتون خلاف ذلك، يثبتون إن إثمها أكبر من نفعها وأن النفع القليل الخاص ببعض الاحوال المرضية قد يعارضها فيها نفسها من الضرر ماهو أقوى منه فيجعل ترك التداوي بها أولى اذا وجد أي شيء آخر يقوم مقامها

***

اني ذكرت في فاتحة هذا التفسير من الجزء الاول أن مسلك جريدة العروة الوثقى في الدعوة الى الاصلاح الاسلامي من طريق إرشاد القرآن ، وبيانه لسنن الله تعالى في الانسان والاكوان ، قد فتح لي في فهم القرآن بابا لم يأخذ بحلقته أحد من المفسرين المتقدمين ، [illegible] هذا الفصل الاستطرادي بمقالة من مقالات تلك الجريدة [illegible] الآية التي نحن بصدد تفسيرها ليكون مصباحا [illegible] يستضيئون بضوئه — وليعلم الفرق بين فهم هذا الامام وأستاذه الحكيم للقرآن وبين أفهام المتقدمين الذين كانت حظوظهم من تفسير هذه الآية كتابة سطرين أو بضعة أسطر أكثرها في غير سبيل هدايتها . وهذا نص المقالة

المقالة الثامنة عشرة

سنن الله في الأمم وتطبيقها على المسلمين (*)

﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾

تلك آيات الكتاب الحكيم ، تهدي الى الحق والى طريق مستقيم ، ولا

(*) نشرت في العدد السابع عشر من جريدة العروة الوثقى في يوم الخميس ٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ و ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٤

يرتاب فيها إلا الضالون ، هل يخلف الله وعده ووعيده وهو أصدق من وعد وأقدر من أوعد ؟ هل كذب الله رسله ؟ هل ودع أنبياءه وقلاهم ؟ هل غش خلقه وسلك بهم طريق الضلال ؟ نعوذ بالله ! ! هل أنزل الآيات البينات لهواً وعبثاً ؟ هل افترت عليه رسله كذبا ؟ هل اختلقوا عليه إفكا ؟ هل خاطب الله عبيده برموز لا يفهمونها ، وإشارات لا يدركونها ؟ هل دعاهم اليه بما لا يعقلون ؟ نستغفر الله ! أليس قد أنزل القرآن عربيا غير ذي عوج ، وفصل فيه كل أمر ، وأودعه تبيانا لكل شيء ، ؟ تقدست صفاته وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا. هو الصادق في وعده ووعيده ، ما اتخذ رسولا كذابا ، ولا أتى شيئا عبثا ، وما هدانا إلا سبيل الرشاد ، ولا تبديل لآياته ، تزول السموات والارض ولا يزول حكم من أحكام كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

يقول الله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون — ويقول — ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين — وقال — وكان حقاً علينا نصر المؤمنين [illegible] وكفى بالله شهيدا) هذا ما وعد الله في محكم الآيات [illegible] الآيات بالتأويل ، إلا من ضل عن السبيل ، ورام تحريف الكلم عن مواضعه . هذا عهده إلى تلك الامة المرحومة، ولن يخلف الله عهده ، وعدها بالنصر والعزة وعلو الكلمة ، ومهد لها سبيل ما وعدها الى يوم القيامة ، وما جعل الله لعهدها أمداً ، ولا لعزتها حدا

هذه أمة أنشأها الله عن قلة ، ورفع شأنها الى ذروة العلى ، حتى ثبتت أقدامها على قنن الشامخات ، ودكت لعظمتها عوالي الراسيات ، وانشقت لهيبتها مرائر الضاريات ، وذابت فرقاً منها أعشار القلوب ، وحال ظهورها الهائل كل نفس وتحير في سيبه كل عقل ، واهتدى الى السبب أهل الحق فقالوا : قوم كانوا مع الله فكان الله معهم ، جماعة قاموا بنصر الله واسترشدوا بسنته فأمدهم بنصر من عنده . هذه أمة كانت في نشأتها فاقدة الذخائر ، معوزة من الاسلحة وعدد القتال ، فاخترقت صفوف الامم واختطت ديارها ، ولا دفعتها أبراج المجوس وخنادقهم ، ولا صدتها قلاع الرومان ومعاقلهم ، ولا عاقها صعوبة المسالك ، ولا أثر في همتها

اختلاف الاهوية ، ولا فعل في نفوسها غزارة الثروة عند من سواها ، ولا راعها جلالة ملوكهم ، وقدم بيوتهم ، ولا تنوع صنائعهم ، ولاسعة دائرة فنونهم ، ولا عاق سيرها أحكام القوانين ولا تنظيم الشرائع ، ولا تقلب غيرها من الامم في فنون السياسة . كانت تطرق ديار القوم فيحقرون أمرها ، ويستهينون بها ، وما كان يخطر ببال أحد أن هذه الشرذمة القليلة تزعزع أركان تلك الدول العظيمة وتمحو أسماءها من لوح الجد . وما كان يختلج بصدر أن هذه العصابة الصغيرة تقهر تلك الامم الكبيرة وتمكن في نفوسها عقائد دينها ، وتخضعها لاوامرها وعاداتها وشرائعها ، لكن كان كل ذلك ، ونالت تلك الامة المرحومة على ضعفها مالم تنله أمتنا . نعم قوم صدقوا ماعاهدوا الله عليه فوفاهم أجورهم مجداً في الدنيا ، وسعادة في الآخرة .

هذه الامة يبلغ عددها اليوم زهاء مئتي مليون من النفوس[1] وأراضيها آخذة من المحيط الاتلانتيكي الى أحشاء بلاد الصين [illegible] تربة طيبة ، ومنابت خصبة ، وديار رحبة ، ومع ذلك نرى بلادها منهوبة ، وأموالها مسلوبة ، تتغلب الاجانب على شعوب هذه الامة شعباً [illegible] ويقتسمون [illegible] قطعة بعد قطعة ، ولم يبق لها كلمة تسمع ، ولا [illegible] يصبحون كل يوم في ملمة ، ويمسون في كربة مدلهمة ، ضاقت أوقاتهم عن سعة الكوارث التي تلم بهم ، وصار الخوف عليهم أشد من الرجاء لهم

هذه هي الامة التي كان الدول العظام يؤدين لها الجزية عن يد وهن صاغرات ، استبقاء لحياتهن ، وملوكها في هذه الايام يرون بقاءهم في التزلف الى تلك الدول الاجنبية . يالمصيبة ويالرزية !!

أليس هذا بخطب جلل؟ أليس هذا ببلاء نزل؟ ماسبب هذا الهبوط ، وماعلة هذا الانحطاط؟ هل نسيء الظن بالعهود الالهية؟ معاذالله! هل نستيئس من رحمة الله ونظن أن قد كذب علينا؟ نعوذ بالله! هل نرتاب في وعده بنصرنا بعدما أكده لنا؟ حاشاه سبحانه! لاكان شيء من ذلك ولن يكون ، فعلينا أن ننظر لأنفسنا ولانلوم الا عليها ، ان الله

(١) كان هذا هو المشهور من احصاء المسلمين من زهاء نصف قرن ويقدر الآن بثلاثمائة مليون أو ٣٥٠ مليونا

تعالى برحمته قد وضع لسير الامم سنة ثابتة ثم قال (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

أرشدنا سبحانه في محكم آياته الى أن الامم ما سقطت من عرش عزها ، ولا بادت ومحي اسمها من لوح الوجود إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنها الله على أساس الحكمة البالغة . إن الله لا يغير ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة حتى يغير أولئك ما بأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر ، وإشراق البصيرة ، والاعتبار بأفعال الله في الامم السابقة ، والتدبر في أحوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا وحل بهم الدمار ، ثم لعدولهم عن سنة العدل ، وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة ، حادوا عن الاستقامة في الرأي ، والصدق في القول ، والسلامة في الصدر ، والعفة عن الشهوات ، والحمية على الحق ، والقيام بنصره ، والتعاون على حمايته ، خذلوا العدل ولم يجمعوا هممهم على إعلاء كلمته ، واتبعوا الأهواء الباطلة ، وانكبوا على الشهوات الفانية ، وأتوا عظائم المنكرات ، خارت عزائمهم ، فشحوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة ، واختاروا [illegible] الحق ، فأخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة للمعتبرين .

هكذا جعل الله بقاء الامم ونماءها في التحلي بالفضائل التي أمرنا اليها ، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها . سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الامم ، ولا تتبدل بتبدل الاجيال ، كسنته تعالى في الخلق والايجاد ، وتقدير الارزاق ، وتحديد الآجال .

علينا أن نرجع الى قلوبنا ، ونمتحن مداركنا ، ونسبر أخلاقنا ، ونلاحظ مسالك سيرنا ، لنعلم هل نحن على سيرة الذين سبقونا بالايمان ؟ هل نحن نقتفي أثر السلف الصالح ؟ هل غير الله ما بنا قبل أن نغير ما بأنفسنا ، وخالف فينا حكمه ، وبدل في أمرنا سنته ؟ حاشاه وتعالى عما يصفون ، بل صدقنا الله وعده ، حتى اذا فشلنا وتنازعنا في الأمر ، وعصيناه من بعد ما أرى أسلافنا ما يحبون ، وأعجبتنا كثرتنا فلم تغن عنا شيئا ، فبدل عزنا بالذل ، وسموّنا بالانحطاط ، وغنانا بالفقر ، وسيادتنا بالعبودية . نبذنا أوامر الله ظهريا ، وتخاذلنا عن نصره ، فجازانا بسوء أعمالنا ، ولم يبق لنا سبيل الا النجاة والانابة اليه .

كيف لا نلوم أنفسنا ونحن نرى الاجانب عنا يغتصبون ديارنا ويستذلون أهلها، ويسفكون دماء الابرياء من اخواننا ، ولا نرى في أحد منا حراكا ؟

هذا العدد الوافر والسواد الأعظم من هذه الملة لا يبذلون في الدفاع عن أوطانهم وأنفسهم شيئا من فضول اموالهم ، يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، كل واحد منهم يود لو يعيش ألف سنة ، وإن كان غذاؤه الذلة وكساؤه المسكنة، ومسكنه الهوان . تفرقت كلمتنا شرقا وغربا ، وكاد ينقطع ما بيننا ، لا يحن أخ لأخيه ، ولا يهتم جار بشأن جاره ، ولا يرقب أحدنا في الآخر إلا ولا ذمة ، ولا نحترم شعائر ديننا ، ولا ندافع عن حوزته ، ولا نعززه بما نبذل من أموالنا وأرواحنا حسبما أمرنا

أيحسب اللابسون لباس المؤمنين أن الله يرضى منهم بما يظهر على الألسنة ولا يمس سواد القلوب ؟ هل يرضى منهم بأن يعبدوه على حرف ؟ فإن أصابهم خير اطمأنوا به، وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والآخرة ؟ هل ظنوا أن لا يعلم الله ما في صدورهم، ولا يمحص ما في قلوبهم ؟ ألا يعلمون أن الله لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ؟ هل نسوا أن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم للقيام بنصره وإعلاء كلمته لا يبخلون في سبيله بمال ، ولا يشحون بنفس ؟ فهل لمؤمن بعد هذا أن يزعم نفسه مؤمنا وهو لم يخط خطوة في سبيل الايمان ، لا بماله ولا بروحه ؟

إنما المؤمنون هم الذين اذا قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ـ لا يزيدهم ذلك إلا ايمانا وثباتا ، ويقولون في إقدامهم : (حسبنا الله ونعم الوكيل) . كيف يخشى الموت مؤمن وهو يعلم أن المقتول في سبيل الله حي يرزق عند ربه ؟ متنعم بالسعادة الابدية في نعمة من الله ورضوان، كيف يخاف مؤمن من غير الله ، والله يقول (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)

فلينظر كل الى نفسه ولا يتبع وساوس الشيطان، وليمتحن كل واحد قلبه قبل أن يأتي يوم لا تنفع فيه خلة ولا شفاعة، وليطبق بين صفاته وبين ما وصف الله به المؤمنين، وما جعله من خصائص الايمان ، فلو فعل كل منا ذلك لرأينا عدل الله فينا واهتدينا .

يا سبحان الله ، إن هذه أمتنا أمة واحدة ، والعمل في صيانتها من الاعداء أهم فرض من فروض الدين عند حصول الاعتداء ، يثبت ذلك نص الكتاب العزيز ، وإجماع الامة سلفا وخلفا ، فما لنا نرى الاجانب يصولون على البلاد الاسلامية صولة بعد صولة ، ويستولون عليها دولة بعد دولة ، والمتسمون بسمة الايمان آهلون لكل أرض متمكنون بكل قطر ، ولا تأخذهم على الدين نعرة ، ولا تستفزهم للدفاع منه حمية؟

ألا يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن ، وتعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي ، وتتخذوه إماما لكم في جميع أعمالكم مع مراعاة الحكم في العمل كما كان سلفكم الصالح . ألا يا أهل القرآن هذا كتابكم فاقرءوا منه (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) ألا تعلمون فيمن نزلت هذه الآية؟ نزلت في وصف من لا إيمان لهم . هل يسر [illegible] أن يتناولهم الوصف المشار اليه بالآية الكريمة أو غر كثيرين من المدعين للايمان ما نزل بهم من سوء أحوالهم ، وما حسنته لهم أهواؤهم (أفلا يتدبرون [illegible])

أقول ولا أخشى [illegible] الايمان [illegible] ويكون أول أعماله تقديم ماله وروحه في سبيل الايمان ، لا يراعي في ذلك عذراً ولا علة ، وكل اعتذار في القعود عن نصرة الله فهو آية النفاق وعلامة البعد عن الله

مع هذا كله نقول : إن الخير في هذه الأمة الى يوم القيامة كما جاءنا به نبأ النبوة ، وهذا الانحراف الذي نراه اليوم نرجو أن يكون عارضا يزول ، ولو قام العلماء الاتقياء ، وأدوا ما عليهم من النصيحة لله ولرسوله والمؤمنين ، وأحيوا روح القرآن ، وذكروا المؤمنين بمعانيه الشريفة واستلفتوهم الى عهد الله الذي لا يخلف لرأيت الحق يسمو والباطل يسفل ، ولرأيت نوراً يبهر الابصار ، وأعمالا تحار فيها الافكار . وإن الحركة التي نحسها من نفوس المسلمين في أغلب الاقطار هذه الايام تبشرنا بأن الله تعالى قد أعد النفوس لصيحة حق يجمع بها كلمة المسلمين ، ويوحد بها بين جميع الموحدين ، ونرجو أن يكون العمل قريبا ، فان عمل المسلمين وأجمعوا أمرهم للقيام بما أوجب الله عليهم ، صحت لهم الأوبة ، وانمحت منهم

التوبة ، وعفا الله عنهم ، والله ذو فضل على المؤمنين ، فعلى العلماء أن يسارعوا الى هذا الخير ، وهو الخير كله : جمع كلمة المسلمين ، والفضل كل الفضل لمن يبدأ منهم بالعمل و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) اه

أقول : رحم الله محمداً عبده كاتب هذا الخطاب ، ورحم الله السيد الافغاني الذي فتح له ولنا هذا الباب ، فهكذا فليكن التذكير بالقرآن (وما يذكر إلا أولوا الالباب)

(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم) الكلام في هذا كالكلام في نظيره من حيث إنه شاهد حق واقع فيما تقدم من سنة الله تعالى في الامم والدول وانما المخالفة في موضوع دأب القوم وفي الجزاء عليه المشار اليهما فيما اختلف به التعبير من الآيتين ، فالآية السابقة في بيان كفرهم بآيات الله وهو جحد ما قامت عليه أدلة الرسل من وحدانية الله ووجوب افراده بالعبادة الخ وفي تعذيب الله إياهم في الآخرة . فتكرار اسم الجلالة فيها يدل على ما ذكر لانه متعلق بحقه تعالى من حيث ذاته وصفاته وفي الجزاء الدائم على الكفر به الذي يبتدىء بالموت وينتهي بدخول النار . وهذه الآية في تكذيبهم بآيات ربهم من حيث [illegible] ذكر فيها اسم الرب مضافا اليهم بدل اسم الجلالة [illegible] تكذيبهم الرسل ومعاندتهم وإيذاؤهم وكفر النعم المتعلقة بمعيشتهم والسابقة عليها ، وفي الجزاء على ذلك بعذاب الدنيا

فقوله تعالى (فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) كقوله في آية العنكبوت (٢٩ : ٣٩ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

وحاصل المعنى ان ما يحفظه التاريخ من وقائع الامم من دأبها وعادتها في الكفر والتكذيب والظلم في الارض ومن عقاب الله إياها هو جار على سنته تعالى المطردة في الامم ولا يظلم تعالى أحداً بسلب نعمة ولا إيقاع نقمة وإنما عقابه لهم أثر طبيعي لكفرهم وفسادهم وظلمهم لانفسهم ، هذا هو المطرد في كل الأمم في جميع الأزمنة . وأما عذاب الاستئصال بعذاب سماوي فهو خاص بمن طلبوا الآيات من الرسل وأنذروهم العذاب اذا كفروا بها فعلوا

فتاوى المنار

(ترجمة محمد علي الهندي للقرآن)

(س١٦) من صاحب الامضاء في سمبس بريتو (جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة مولاي الاستاذ العلامة الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر نفعني الله والمسلمين بعلومه آمين .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد فالمرجو من فضلكم وشفقتكم على الامة الاسلامية الجواب عن هذا السؤال وهو : هل يجوز العمل بتفسير مولوي محمد علي الهندي الذي [illegible] القرآن [illegible] الانكليزية أم لا ؟ وقد ترجمه باللغة الملاوية الحاج عثمان جوكرو امينوتو (Tjokroaminoto) وقد صار النزاع بين الجاويين في أمر هذا التفسير [illegible] ولكن قال المترجم إنه لم ير أحداً بين خاصة العلماء [illegible] فما رأيكم فيه ، نعم قد علمت ان مفتي مصر وبيروت لم يأذنا بادخال هذا التفسير الانكليزي فيهما ، ولكن عدم إذن المفتيين في ذلك لم يكن كافياً لاقناع الناس بعدم جواز العمل به .

هذا وتفضلوا بقبول شكري وشكر الامة سلفا على جوابكم الشافي المنتظر ، ودمتم سالمين وملجأ للمسترشدين . محمد بسيوني عمران

(ج) الظاهر أنكم تريدون من العمل بهذا التفسير الاعتماد على مايبين به معاني التنزيل من أحكام العبادات والمعاملات أو ماهو أهم من ذلك كالاعتماد عليه في العقائد الدينية . ولا يمكن أن يفتي بهذا إلا من قرأ هذا التفسير أو الترجمة التفسيرية كلها ورأى أن صاحبها لم يخرج فيها عن شيء من القطعيات التي أجمع عليها المسلمون أو جرى عليها جمهور السلف الصالح ولم يشذ عن مدلول الالفاظ العربية فيما ليس بقطعي . والمشهور ان صاحبه محمد علي هذا من القاديانية وانه حرف بعض الآيات المتعلقة بالمسيح لاجل الاستدلال بها على كون ميرزا غلام

أحمد القادياني هو المسيح المنتظر ، هذا هو سبب منع شيخ الازهر ومفتي بيروت لادخال المصحف الشريف المطبوعة معه هذه الترجمة الانكليزية الى مصر وسورية لئلا يضل المسلمون بهذا التحريف . وقد ذكرت هذا في الجزء التاسع من تفسير المنار . والطائفة القاديانية مارقة من الاسلام تدعي الوحي لمسيحها الدجال وخلفائه ولهم في تحريف القرآن مفاسد لم يسبقهم اليها دعاة الباطنية من زنادقة الفرس وغيرهم ومنها أنهم يزعمون ان سورة الفاتحة تدل على استمرار الوحي الالهي الى آخر الزمان وقد رددنا على دجالهم في حياته وبين اضلالهم بعد موته مراراً في مجلدات المنار المتعددة

وعندي انه لا ينبغي للمسلمين أن يعتمدوا على هذه الترجمة ولا غيرها في فهم القرآن والعمل به وانما ينتفع بهذه التراجم في دعوة غير المسلمين الى الاسلام ممن لا يعرفون العربية ويعرفون لغة الترجمة . وراجعوا كتابنا (ترجمة القرآن) في هذا الموضوع فهو يغني عن الاطالة هنا في هذه المسألة

[illegible]

(س١٧–٢٠) [illegible]

مولاي الاستاذ السيد الاجل فخر الانام ، نفع الله تعالى بوجوده الاسلام .
أرجو من فضلكم الجواب عن هذه الاسئلة وهي :

هل قوله تعالى (فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) نص على عدم جواز الزيادة على أربع زوجات أم لا ؟

وهل يجوز لأحد أن يتزوج بأكثر من أربع نسوة تقليداً لمن قال بتسع أو ثماني عشرة امرأة أم لا ؟ وما حكم الاولاد الذين هم من النساء الزوائد مع حديث غيلان ، الذي صححه الحاكم وابن حبان ، وهو « أمسك أربعاً وفارق سائرهن » واذا فعل ذلك أحد من الكبراء (الامراء أو السلاطين) أو غيرهم فهل يجب على العلماء إنكار فعله عليه بالنصيحة له أم لا ؟

هذا والمرجو منكم الجواب ، ولكم مني الشكر ومن الله الثواب .

محمد بيوني عمران

(ج) الآية الكريمة نص في جواز نكاح الاربع بشرطه وعدم الزيادة عليها. ومن قال إنها تدل على جواز ١٨ فهو محرف للنص بجهله باللغة أو بسوء القصد، وتقليده ممنوع بإجماع أهل الحق من المسلمين ومن فعل ذلك عن جهل يعذر به فأولاده مما زاد على الرابعة أولاد شبهة . ولا شك في أنه يجب على علماء المسلمين الانكار على من يخالف هذا الاجماع المستمد من نص القرآن المؤيد بالسنة العملية والأحاديث الصحيحة أميراً كان أو مأمورا ملكا كان أو سوقة لحكم الله واحد لا يختلف باختلاف المظاهر وغيرها ، وانما يختلف أسلوب إنكار المنكر والأمر بالمعروف ، فيراعى فيه من الحكمة والموعظة الحسنة ما يرجى به القبول

إمامة الجمعة وما يشترط فيها الشافعية

(س ٢٠-٢٢) وله أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلامة المصلح مولانا الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي أدامه الله تعالى للأمة إماما مصلحا آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاني أرجو من فضلكم أن تتفضلوا بالجواب عن الاسئلة التي تتعلق بصلاة الجمعة لم تزل أفهام الناس تختلف فيها باختلاف أقوال الفقهاء فيها ألا وهي :

(١) قال بعض العلماء يشترط أن يكون إمام الجمعة ممن سمع الخطبة وان زاد على الاربعين ، فهل هذا القول صحيح أم لا ؟

(٢) قال في الجمل على شرح المنهج : (فرع) لو خطب شخص وأراد أن يقدم شخصاً غيره ليصلي بالقوم فشرطه أن يكون ممن سمع الخطبة وينوي الجمعة إن كان من الاربعين وإلا فلا . إذ تجوز صلاة الجمعة خلف مصلي الظهر. اه شوبري فما معنى قوله «وإلا فلا» فسروه لنا ، وهل يشترط على الصبي أو العبد أو المسافر أو مصلي الظهر أن يسمع الخطبة اذا كان إماماً للجمعة أو لا ؟ اذا هم قد قالوا ان أحد الاربعة يصح أن يكون إماما للجمعة فاني لم أفهم اشتراطهم على الامام ان

يكون ممن سمع الخطبة وإن زاد على الاربعين ، فانهم ليسوا من اهل الجمعة وإن سمعوا الخطبة فسماعهم لها لم يجعلهم معدودين من العدد الذي تصح به الجمعة ، ومع ذلك تصح إمامتهم . هذا والمرجو منكم الجواب عن هذه الاسئلة ولو كانت عند أهل العلم من البديهيات ، ولكن الجواب عن أمثالها لايخلو من حسن الافادات

محمد بسيوني عمران

(ج) الحق أن تشديد فقهاء الشافعية في أحكام صلاة الجمعة لا يطاق وهم يستنبطون من كل استنباط أحكاما وإن كان الاصل الاول لا يقوم عليه دليل كاشتراط الاربعين الموصوفين بالصفات المعلومة في انعقاد الجمعة ، واذا كان هذا غير صحيح لان الادلة قامت على خلافه سقط كل ما بني عليه تماما لم نحتج هنا وغيره . والمتبادر من أحكام الامامة عند جماهير العلماء ان من صحت إمامته لغير الجمعة صحت إمامته لها ، وكل من صلى الجمعة وجب عليه أن ينويها [illegible] ليس شارعا لهذه الامة ولا إماما مجتهدا فيها ، فمن كلف نفسه مالم يكلفه الله من التعبد بآرائه وآراء أمثاله فحسبه ما رهق به نفسه في الدنيا [illegible] الجمعة حيث تقام أن يصلي مع المسلمين كما يصلون [illegible] كالمسافر ذهبت رخصة السفر بدخوله فيها وكانت صلاته كصلاة سائر المسلمين ولا يجب عليهم أن يعدوا المصلين ويجعلوا لكل نوع منهم صلاة غير صلاة الآخرين .

(الماسونية)

(س ٢٣) من صاحب الامضاء بتونس

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الاستاذ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء ، أقدم لجنابكم فائق احتراماتي وأحييكم تحية مخلص بار مستنهلا من مواردكم العذبة غيث التحقيق فيما أرجو أن يخضل به روض تاموري وينم عندي مرج التحقيق بامطاركم لي عن خبايا الطائفة الماسونية ومهيع سلوكها والغاية التي ترمي اليها ومركزيتها في الكون ومحور دائرة أعمالها وكيفية ارتباط أعضائها وسلم تدرجهم في السعي والسبيل

الذي يمكن الاطلاع به على كل حقائق هيئتها وهل في ذلك ضير على الدين المحمدي أو مساس بالعقائد حتى أكون ممن نهل ورد التحقيق ولكم جزيل الشكر ووافر الامتنان من المخلوقين ، وعظيم الاجر من رب العالمين ، حرره راجي الافادة

محمد الصالح رمضان

(ج) ليس عندي من العلم ما أجيبكم به عن كل هذه الاسئلة وانما أعلم بالاجمال ان الجمعية الماسونية قد أسست لاجل هدم الحكومة الدينية البابوية أولا وبالذات ثم هدم كل حكومة دينية وإقامة حكومة لا دينية مقامها وحينًا ثم لهم ذلك فان الجمعية تكون رابطة أدبية وصلة تعارف وتعاون بين أهلها المؤلفين من أهل الملل المختلفة وأكثرهم لايعرف منها الآن أكثر من ذلك . والواضعون لاساسها الاول هم اليهود وغرضهم الاساسي منها إعادة ملك سليمان الديني الى شعبهم في القدس وإعادة هيكله الى ماوضع له وهو المسجد الأقصى ؛ فأعظم كيد لهم وجد في الارض انهم هدموا الحكومات المسيحية الدينية من أوربة غربيها فشرقيها والحكومة الاسلامية التركية بالطريقة الرسمية وبعد هذا كله ظهرت جمعيتهم الصهيونية تشتغل خدمتهم الآن في الحرب بالتوسل بها الى اقامة حكومة دينية يهودية ، في فلسطين واذا أردتم الاطلاع الواسع على شؤون هذه الجمعية فعليكم بما كتبه فيها أشد خصومها في العالم وهم الجزويت ولبسوا لديكم بقليل

قراءة العامي للكتب الدينية

(س ٢٤-٢٦) من صاحب الامضاء ببيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » الغراء دام محفوظا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني أرفع لسيادتكم ماياتي راجيًا التكرم بالاجابة عليه

(١) هل يجوز للعامي الذي لايعرف نحواً ولا صرفا مطلقاً أن يقرأ كتب تفسير القرآن الكريم والاحاديث القدسيه والنبوية وشرحها وتفسيرها والتوحيد والفقه وغير ذلك وهو يلحن فيها أم لا ؟

(٢) هل يجوز للعامي أن يفتي غيره في المسائل الدينية الاسلامية التي يعرفها أم لا؟

(٣) أرجوكم أن تبينوا لنا أسماء وأصحاب الكتب الدينية الاسلامية الصحيحة المعتمدة في العبادات والمعاملات وغير ذلك . تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب

السائل — عبد القادر البعلبكي ببيروت

أما الجواب عن السؤال الاول فهو أنه يجوز لمن يجهل النحو والصرف قراءة الكتب الدينية وما في معناها ولا يضره اللحن فيها وإنما يشترط عدم اللحن في تلاوة القرآن ، ولكن ليس له أن يلقن الناس شيئاً من الاحاديث إلا اذا ضبطها على أحد العلماء

وأما الجواب عن الثاني فهو أنه لا يجوز للعامي أن يفتي غيره بما يفهمه من المسائل الدينية باجتهاد منه وأما اذا حفظ مسألة من العلماء وكان على ثقة من حفظها وفهمها فله أن يذكرها لغيره ، وليس لغيره أن يأخذ بما ينقله له ويعتمد عليه في العمل

وأما الجواب عن الثالث فلا سبيل إليه لأن الكتب الدينية وأصحابها كثيرون منهم المشهورون [illegible] والبخاري ومسلم ، ولكل أهل مذهب كتب [illegible]

وقد ذكرنا في [illegible] من سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) أشهر الكتب التي يعتمد عليها في الامور الدينية من كتب السنة وشروحها وكتب الاحكام المؤيدة بدلائلها فتطلب من جزء التفسير الثامن ومن كتاب (يسر الاسلام) الذي صدر حديثا



تفسير المنار

تقريظ بمناسبة طبع الجزء الاول منه

للاستاذ العالم العامل ، الاديب الخطيب الفاضل ، الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي سليل بيت البيطار الشهير بالعلم — وهو الآن مدير المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

طلع علينا الجزء الاول من تفسير عالم الاسلام الشهير ، الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار المنيرة وفي النفس شوق الى رؤيته يعجز اللسان عن بيانه وفي عصرنا الحاضر حاجة الى ظهوره يقصر القلم عن وصفها . يعرف قيمة المنار وتفسير المنار من عرف مطالب هذا الزمن المتنوعة ، ومشاكل المسلمين الكثيرة ، التي أوقعتهم في بحران من الاضطراب [illegible] في سبيل النجاة [illegible] .

نهض السيد [illegible] عند المنازع الدينية الدنيوية المتجددة [illegible] وطريق الخلاص منها مستهديا بهدي السنة والتنزيل ، وهما خير هاد ودليل ، مسترشداً بسنن الوجود التي لاتبديل فيها ولا تحويل . وإليك أهم ما انفرد به المنار وتفسيره عن غيره ، وجعله وحيداً في نوعه :

(١) تصديه لملاحدة العصر الداعين الى استباحة الأبضاع ، الساعين في تقويض دعائم العمران ، وقلب سنن الاجتماع ، ونظام الاشتراع ، في صحفهم المنتشرة المشتهرة ، فهذا التفسير يكشف عن مخازيهم وإفكهم ، ويرد سهامهم الخاسرة في نحورهم .

(٢) مقاومته لمهاجمة دعاة التثليث في كتبهم التي لاتنضب مادتها ، ولا يحصى عددها ، وما أشد مزاحمهم في الاسلام ومفترياتهم عليه ، وحسبك أنه لا تمر به شبهة منهم إلا ويأتي عليها نقضا وإبطالا .

(٣) فتاويه التي تبحث في أدق المسائل الاسلامية ، وتحل أعقد المشاكل

الدينية الاجتماعية بحلا يفي بحاجة العصر ، ويتمشى مع قواعد النصوص الشاملة ، والمصلحة العامة الراجحة ، وعالم الاسلام أيده الله تعالى بروح منه يذكرنا - بما يلقى اليه من الاسئلة المشكلة من أطراف المعمور ، وبما يجيب به عنها بأسلوبه الحكيم ، الصادر عن علمه الراسخ - بشيخ الاسلام ومفتي الانام الامام ابن تيمية (رض) في ذلك كله ، على أن مشاكل عصرنا أكثر ، وطرق حلها أصعب .

(٤) دعوته الى التوحيد الخالص ، ومذهب السلف الصالح ، وتحذيره من شوائب الشرك والبدع والشكوك ، والافتتان بدعاء المخلوق ، ومقاومته القبوريين الذين يغرون الناس بالتهافت على أضرحة الصالحين ، وانزال حوائجهم وطلباتهم بهم ، وتذكيره علماء الامة ونصحه لهم بأن يرشدوا العامة الى كل ما هو أهدى سبيلا ، وأقوى دليلا ، وأجمع لمصالحهم في الآخرة والاولى .

(٥) إنه يثبت أن جميع [illegible] في هذا العصر من السيارات والطيارات والغواصات والكهرباء وسائر المخترعات التي [illegible] مصالح الامة وتحمي حوزتها وتدفع عوادي الشر [illegible] — هو مقتضى دين الاسلام ، و[illegible] الذين هداهم الله تعالى في كتابه الى علوم الاكوان ، وسخر لهم ما في السموات وما في الارض تسخير تمكين - هم أولى بالمسابقة بل السبق في هذا المضمار ، (وها هي ذي الحكومات الاسلامية - لا سيما الحكومة السعودية الحجازية النجدية التي تعد أوسعها تدينا ومحافظة على هدي السلف قد أخذ جلالة ملكها المعظم يستعمل في مملكته من وسائل النقل المدنية ما قرب البعيد ، وأدخل البلاد في طور جديد) ألا وإن محل خير أمة أخرجت للناس في خير القرون وأفضلها بشهادة الله ورسوله - هو حجة علية مبطلة لمزاعم الفريق الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وصرح غلاتهم بمروقهم من الاسلام فراراً من ضعف المسلمين واستكانتهم ؛ كأن الاسلام هو الذي أورثهم هذا الحرمان !! « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » نعوذ بالله من الخذلان .

وهو أيضاً حجة على بعض المتدينين المستضعفين من المسلمين الذين مزقهم

الغرب بآلاته الفاتكة المدمرة - التي يعادون تعلم صنعتها - كل ممزق ، ويقولون هي كلها من علوم الافرنج ، وما هي كلها من علوم الافرنج ولكنها من علوم المسلمين الاولين الذين عملوا بما هداهم اليه كتابهم ، فأخذها الافرنج عنهم ، وزادوا فيها وأضافوا اليها عجائب أخرى ، كما عمل سلفنا فيما نقلوه من حضارة من تقدمهم ، وكما هو شأن المتأخر مع من تقدمه ، فمن حاجنا في ذلك حاججناه بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الامة .

إذاً أليس من الخزي والعار أن يصرح بعض غلاة التفرنج بمفارقة الاسلام افتتانا بزخارف مدنية قد أوجب الله عليهم الاخذ عنانها من قبل ، وعد الاسلام بعض أعمالها من الفروض ، وبعضها من المندوب الخ ، وعمل بها السلف الصالح ؟ ! كلا إنهم جمعوا بين محاسنها ورذائلها معللين ذلك بأن المدنية الغربية لا تتجزأ ! وانهم من أجل ذلك تركوا دينهم وفضائله !! فهل سمعت في الدنيا بعذر أبشع من هذا ؟؟

أوليس من المؤسف المخجل أن يحرم آخرون من غزاهم الاجنبي في عقر دارهم على أنفسهم وعلى أبنيهم ما أوجب الله عليهم وعلى أمتهم تعلمه والعمل به صونا لهم عن الوقوع فيما وقعوا فيه ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ومنهم من ينتظر ظهور المهدي ليقيم لهم الاسلام وينجيهم مما هم فيه ، وقد فاتهم أنه اذا ظهر كان جهاده فيمن يعطل أحكام الشريعة .

(٦) انه يضيف الى وجوه اعجاز القرآن ، ومعجزات النبي (ص) التي ذكرها سلفنا ، - وجوهاً أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وانكشفت الآن لدى المحققين الباحثين في خواص الكون ، وتاريخ البشر ، وسنة الله في الخلق ، وقد حققها القرآن الذي جاء به النبي (ص) عن ربه قبلهم بثلاثة عشر قرنا ، ككون الرياح تلقح الاشجار والثمار ، وكون السموات والارض كانتا مادة واحدة ، وكجعل كل شيء حي من الماء ، وجعل النبات مؤلفا من زوجين اثنين ، والريح هي التي تنقل مادة اللقاح من الذكر الى الانثى (راجع تفصيلها من ص ٢١٠ ج ١)

قال السيد المفسر : وفي هذا المعنى عدة آيات أعمها وأغربها وأعجبها قوله تعالى (سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)

« ومنه (أي مما حققه القرآن من المسائل العلمية) قوله تعالى (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) إن هذه الآية هي أكبر مثار للعجب بهذا التعبير (موزون) فان علماء الكون الاخصائيين في علوم الكيمياء والنبات قد أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة في كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين المقدرة من أعشار الغرام والمليغرام ، وكذلك نسبة بعضها الى بعض في كل نبات ، أعني أن التعبير بلفظ (كل) المضاف الى لفظ (شيء) الذي هو أعم الالفاظ العربية الموصوف بالموزون ـ هو تحقيق لمسائل علمية فنية لم يكن شيء منها يخطر ببال بشر قبل هذا العصر ، ولا يمكن بيان معناها بالتفصيل إلا بتصنيف مستقل » (ج ١ ص ٢١١ تفسير)

(٧) قال الاستاذ : ومما امتاز به هذا التفسير على جميع كتب التفسير « بيان سنن الله في الكائنات ، وسننه في سير الاجتماع البشري ، كثروة الامم وضعفها ، وسعادتها وشقائها ، وعزها وذلها ، وسيادتها لنفسها واندثارها ، وسيادة غيرها عليها واستعباده إياها ، مع تطبيق ذلك على المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ، والمخرج لهم من ضعفهم الحاضر

(٨) « بيان موافقة تعاليم القرآن وهدايته لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، وان شقاء البشر الحاضر العام لأمم الحضارة ، وما فيها من فوضى الآداب والاجتماع لا يزول إلا باتباع هدايته »

أقول : ما أشار اليه الاستاذ من الشقاء الحاضر وفوضى الآداب والاجتماع في أمم الغرب المتمدينة ، تقابله الطمأنينة على الانفس والاعراض والاموال في جزيرة العرب المتدينة ، وأين هذا من ذاك ؟ أين تأثير قوة الاسلام على الوجدان من تأثير قوة السلاح على الابدان ؟

الاسلام دين عام لجميع الشعوب والاقوام ، والقرآن هو الذي هدى من دانوا به من الامم ، الى كل ما تمتعوا به من صنوف النعم ، ولقد كثر الله به أهله بعد قلة ، وأعزهم بعد ذلة ، وقواهم بعد ضعف ، وأظهر على أيديهم تلك المدنية الزاهرة ، التي جددت ما اندرس من المدنيات الغابرة ، وأوجدت أصول مخترعات الامم المعاصرة .

(٩) بيان أن القرآن الحكيم هو الذي هدى السلف الى الجمع بين مطالب الروح والجسد ، فهم بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد ، وزكت نفوسهم بضروب الاخلاق والعبادات ، عنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدها الاسلام من الفروض كفنون الرياضيات وسنن الكائنات ، وإن شئت قلت علم الارض والسموات ، عملا بقوله جل اسمه (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) وقوله عز قائلا (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله سبحانه (وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعاً منه) فهذه الآيات الكريمة وأمثالها هي التي أرشدت سلفنا الصالح الى مافي السموات من أسرار ومنافع ، وما في الارض من كنوز وذخائر ، فارتقت عقولهم وأفكارهم بالعلوم الالهية ، والفنون الصناعية ، ارتقاء سادوا به الارض ، وساسوا به العالم ، سياسة هي ـ في نظر المطلعين على تاريخ الامم القديمة والحديثة ـ أفضل مثال للعدل والرحمة .

(١٠) تطبيق مافي القرآن من المواعظ والعبر على حال أهل هذا العصر ، والاتيان بالشواهد والأمثال على ذلك [illegible] بيان الفرق [illegible] ماضي المسلمين وحاضرهم ، وحجة القرآن عليهم [illegible] الذي سلكوه باتباع سنن من قبلهم من أهل الكتاب وغيرهم

وبعد فان تفسير المنار للقرآن ، الذي جرى فيه على طريقة شيخه الاستاذ الامام ، غني بشهرته عن الوصف والبيان ، فهو كسائر ماخطه قلم السيد في مجلته وغيرها منذ أكثر من ثلاثين عاما تحقيقاً وإبداعا . ألا وان خصائص هذا التفسير لكثيرة ، وقد ذكرنا أهمها ، واذا كان شرف العلم تابعا لشرف الموضوع فتفسير السيد الامام لكتاب الله تعالى على هذا النحو الذي أشرنا اليه هو أفضل ماينفق فيه أعوامه وأمواله ، وأستاذنا يعلم قيمة وقته الثمين ، وتفسيره العزيز ، وحاجة عصرنا الى مثله ، وعدم الاستغناء عنه بغيره ، فنسأل الله تعالى أن يبارك للمسلمين في وقته وعمره ، وييسر له التفرغ الى اتمامه برحمته وفضله .

محمد بهجة البيطار

الجزء الاول من تفسير القرآن الحكيم

تقريظه واقتراح اختصاره أو تلخيصه مع تمني إتمامه

للكاتب البليغ ، والعالم الأديب ، الاستاذ الشيخ سليمان أباظه الازهري السابق المدرس في بيت الله الحرام . قال من كتاب :

أحمد الله على ظهور هذه النعمة وآمل أن أرى في القريب العاجل تمام هذا التفسير الجليل ، على هذا النسق البديع ، الذي يشبع عقل الباحث ثقافة وريًّا ، ويجعله من غيره غنيا ، كما آمل أن أرى في الاقرب الأعجل خلاصة لهذا التفسير تكون صالحة لقراءتها درساً عاما تستفيد منه العامة قبل الخاصة ، ليسهل على المعلم تأدية مهمته في تعليم ذلك السواد الاعظم - المنتسب الى الاسلام وما هو منه في شيء - دين الله علماً صحيحا سهلا ، خلاصةً على ذلك الطراز الجميل البديع الذي كنا معشر تلاميذ السيد نسمعه منه في الدرس الذي تكرم علينا به في داره بدرب الجماميز ، ذلك الطراز السهل [illegible]

ذلك الطراز البديع الذي كانت المعاني فيه تسابق لفظ السيد الى أذهاننا فلم نلبث أن رأينا أنفسنا ورآنا الناس علماء بين عشية وضحاها من الزمان ، فكنا نأسف على اخواننا أولئك الذين حرموا أنفسهم من هذا الكنز الثمين ، وأضاعوا عمرهم في القال والقيل

ذلك الطراز البديع الذي صدر عن فطرة السيد العالية واستعداده الشريف فقد كنا نفاجئه مفاجأة ، ولا نترك له فرصة يراجع فيها كلام غيره ، أعني لا نمكنه مما يسمى « الاستعداد للدرس » أو اعداد الدرس » حتى لا يتسرب لتلك الفطرة المحمدية الرشيدية العالية الشريفة شيء يؤثر فيها ، فتضيع علينا الفائدة التي نبتغيها منها ، والضالة التي ننشدها ، وهي الوصول الى العلوم الصحيحة ، والحقائق العالية من مواردها الصافية ، بذلك النوع الجديد من المدارسة ، أو المحاضرة أو المحادثة

ومن يقدر على تلك الخلاصة غير السيد ؟ أليس رب البيت أدرى بما فيه من جهة ؟ ومن جهة أخرى هل يخفى على السيد ان الله تعالى قد حباه دون غيره بنعمة عزّ ان لم أقل عدم نظيرها ولا سيما عند علماء هذا الزمان ؟

تلك النعمة هي إيداع المعاني الكثيرة ، في الالفاظ القليلة ، مع حكمة التشريع التي تحبب النفس في العمل ، وتقشع عنها ثياب العجز والكسل . عدا عن الابداع في الاتيان بالمعاني العالية ، بألفاظ وأساليب ممتنعة سهلة ،

هل يتكرم السيد بهذه الخلاصة تكون للتفسير بمثابة المجمل، ويكون هو لها بمثابة المفصل ؟ هل يتكرم السيد بهذا في القريب العاجل في حجم لا يزيد عن مجلدين ، كحجم جزأين من التفسير الكبير ؟ حبذا لو عجل السيد بها ، فان «خير البر عاجله»

وحبذا لو كانت هذه الخلاصة مرتبة متمشية مع المعاني لا مع السور . أعني ذلك الترتيب الذي قال لي عنه السيد منذ سنين، وهو أن تجمع الآيات في المعنى الواحد مع ما يناسبها . ومن يستطيع أن يعمل هـذا غير السيد ؟ أعني فرز آيات القرآن الحكيم على هذا النظام الجميل لئلا يحصل الخلل في الجمع لو تولاه غيره .

اني أرى ذلك سهلا عليه جداً لو مسك المصحف في أوقات رياضته ، ولا سيما اذا كانت في الخلوات، حتى اذا تم كر عليه شرحا وتفسيرا . أسأل الله أن يتم السيد من الشواغل الخاصة والعامة [illegible] نظيره انه سميع مجيب

سليمان أباظه الازهري

باب الانتقاد على تفسير المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الجليل

السلام عليكم ورحمة الله (وبعد) فقد أدهشني جداً وأضاق صدري كثيراً جملة جاءت بشرح آية (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) من تفسيركم للجزء الثالث حاصلها أنه اذا أريد بكلمة حق في الآية ما يشمل الحق العرفي كما هو مقتضى عموم النكرة في سياق النفي كان قيد (بغير حق) مخرجا لقتل نبي بحق كما لو قتـل المصريون موسى لقتله القبطي فانه بتقدير أن يكون عرفهم يقضي بقتل القاتل خطأ يكون قتلهم له بحق فلا يعاقبون عليه وانما تذم شريعتهم اذا كانت غير عادلة اهـ وهذا مما يقضي منه العجب لو صدر عن أي مسلم فكيف

بصدوره عن مصلح عظيم وأستاذ محقق كبير مثل السيد ، الحق واحد وهو ما طابق الواقع فالحق العرفي أي ما يعد في عرف بعض الامم حقاً إن كان مطابقاً للواقع فهو حق وإلا فهو باطل فكيف يجوز قتل نبي لمجرد أن ما تواطأ أهل العرف على اعتباره حقا يقضي بقتله ؟ هذا مما لا يستجيزه أحد يؤمن بالانبياء ، ثم بعد فرض أن شريعة الذين قتل موسى عليه السلام أحدهم تجيز قتله مع نبوته كيف يتردد في كونها عادلة أو غير عادلة حتى يصح قولكم (وإنما تذم شريعتهم إذا كانت غير عادلة)

العبارة لا مساغ لها في نظرنا بل هي نص في أن قتل النبي قد يكون بحق وجائزاً واعتقاد هذا كفر بلا ريب فان كان لكم فيها قصد صحيح فتكرموا بشرحه وافيا في أول عدد يصدر من المنار إزاحة لهذه التهمة عن القراء ولا تؤخروا هذا البيان الى عدد ثان لانه أهم من كل مهم وقد رأيت من القراء من أبرق وأرعد لهذه العبارة الغريبة ولم أجد [illegible] مع شدة حرصي على مقاومة أعداء المنار وعكوفي على بث الدعوة [illegible] في كل فرصة ، وإني أنتهز هذه الفرصة لتقديم أرق عباراتي [illegible]

(استدراك) الظاهر [illegible] حين قتل القبطي فلو قتل إذاً لم يصدق على قاتله أنه قتل نبيا أصلا فالتمثيل به لمرادكم لا يصح

كتب على عجل شديد وفي حال تكاد لا تسمح بخط سطر واحد فعذرة

١٦ المحرم سنة ١٣٤٧ محمد زهران — بالمحمودية بحيره

[الجواب] ما قلناه ليس نصاً ولا ظاهراً في أن قتل النبي قد يكون حقا ، بل هي نص في انه لا يكون حقا ولو على سبيل العرف والاصطلاح ، وإنما أتيتم من ضعف اللغة العربية. والعبرة في كل قول بمقصده الذي يقرره السياق فلا يصح أخذ مفرد أو جملة منه واستنباط معنى منها ينافيه ما سيق الكلام لاجله وإلا لأمكن أن يقال ان تقييد القرآن ذم اليهود بكون قتلهم الانبياء بغير حق يدل بمفهومه على ان قتلهم قد يكون بحق في نفس الأمر ولكن الذي وقع منهم وذموا عليه كان قتلا بغير حق ، وهل يقول هذا أحد يفهم هذه اللغة بناء على ان مفهوم القيد كثيراً ما يكون مقصوداً وإلا كان القيد لغواً

وهذا نص عبارتنا : وقوله تعالى (بغير حق) بيان للواقع بما يقرر بشاعته وانقطاع عرق العذر دونه ، والا فان قتل النبيين لا يكون بحق مطلقا كما يقول المفسرون . وأقول ان هذا القيد يقرر لنا أن العبرة في ذم الشيء ومدحه تدور مع الحق وجوداً وعدما لا مع الاشخاص والاصناف . وإذا قلنا ان كلمة «حق» المنفية هنا تشمل الحق العرفي بقاعدة ان النكرة في سياق النفي تفيد العموم يدخل في ذلك مثل قتل موسى عليه السلام المصري وإن لم يكن متعمداً قتله . فاذا كانت الشريعة المصرية تقضي بقتل مثله وقتلوه يكون قتله حقا في عرفهم لا يذمون عليه ، وإنما تذم شريعتهم إذا كانت غير عادلة . واليهود لم يكن لهم حق ما في قتل من قتلوا من النبيين لا حقيقة ولا عرفا اه

هذه الجملة الاخيرة هي النتيجة المقصودة من السياق كله وهو أن مقتضى بلاغة القرآن في التعريف والتنكير ان تنكير كلمة حق هنا تدل على ان أولئك اليهود الذين كانوا يقتلون النبيين لم يكن لهم أدنى شبهة من الحق على قتلهم حتى ما قد يسميه بعض الناس حقا [illegible] وإن لم يكن حقا في الواقع ونفس الامر ، هذا وقد صرحنا قبل ذلك بما قاله المفسرون كافة من أن قتل النبيين لا يكون بحق مطلقا

فاذا كان هذا هو المقصود من السياق كله فكيف فهمتم من تصوير ما يعد حقا عرفيا أنه نص في أن قتل الانبياء قد يكون حقا ؟ وهل هذا الا قلب للموضوع وإبطال للنص الصريح المقصود بالذات من العبارة مع التصريح به قبلها ؟

على ان تمثيلنا لمسألة القتل والعقاب عليه بمقتضى شريعة عرفية بقتل (موسى) المصري لو عاقبوه عليه بالقتل بحسب شريعتهم لا يدل أيضا على ما فهمتم من تجويز كون قتل الانبياء يكون بحق ، فان التمثيل ليس فيه ذكر للانبياء وموسى عليه السلام لم يكن نبيا عند ما قتل المصري ، وهو علم شخص مفهومه جزئي . والنبي اسم جنس ومفهومه كلي ، فأي منطق أباح لكم أن تجعلوا القضية الجزئية الشخصية ، قضية كلية ؟

ومن العجيب قولكم في ذيل الانتقاد وقد تذكرتم أن موسى لم يكن نبيا إذ

التمثيل به لمرادنا لا يصح !! إنه ليس لنا مراد من التمثيل إلا تصوير ما يسمى حقا عرفياً وانه لم يكن مما يمكن أن يستند اليه قتلة الانبياء من اليهود فصح انه لم يكن لهم أدنى عذر أو شبهة — هـذا مرادنا لا مراد لنا غيره ولكن حكم علينا بسوء الفهم لا القصد ، إن مرادنا التمثيل لقتل الانبياء — وهو ما ينافيه سابق الكلام ولاحقه

هذا وإن الواقع ان موسى عليه السلام قتل رجلا مصريا بغير حق ، ولكن كان ذلك قبل نبوته ورسالته ، وقد سمى هو ذلك ذنبا بقوله في خطاب ربه (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) واعترف لفرعون بانه فعل ذلك وهو من الضالين ، وان الله تعالى منّ عليه بعد ذلك وجعله من المرسلين ، كما ترى في أول سورة الشعراء ، وكان أول ما أوحى الله تعالى اليه أن ذكره فيما ذكره به من ماضيه أنه قتل نفسا وانه تعالى نجاه من الغم وفتنه بعد ذلك فتونا أي محصه وطهره ثم جعله رسولا كما ترى في أوائل سورة طه

والظاهر من خوفه أن يقتلوه انه كان من شريعتهم قتل القاتل وان كان قتله بوكز اليد كما فعل عليه السلام ، وفي التوراة يقتل [illegible] يضرب دون ذلك منها أن من سب أباه أو أمه يقتل [illegible] قبل أن يقر وقتله الا يعد قتلها إياه حقا في شريعتها ؟ وهل تسميته حقا في عرفها يدل على ان قتل الانبياء عليهم السلام يكون حقا مطلقا أو مقيدا ؟

سبحان الله ! ان القاتل المقتول في واقعة الحال غير نبي ، وهب انه نبي ولم يقتل لاجل نبوته فهل يصح الاستدلال بقتله على أن الشريعة التي حكم بها عليه تبيح قتل الانبياء — والتعبير بقتل الانبياء يفيد ان نبوتهم هي السبب المبيح للقتل لان ترتيب الحكم على المشتق يؤذن بالعلة كما قالوه في قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) وقوله (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما) الآية — وإذا كان الاستدلال على كون الشريعة تبيح ذلك غير صحيح أفلا يكون من حكى الواقعة أحق بان لا يعد مبيحا لذلك ؟

وجملة القول أننا قد صرحنا في تفسير الآية ان قتل الانبياء لا يكون إلا بغير حق كما يقول المفسرون كافة وكما قلنا نحن أيضا في تفسير آية البقرة (ويقتلون

النبيين بغير الحق) وفي غيرها – وأننا قدزدنا على هذا بأن استنبطنا من تنكير (حق) في سياق النفي بأنه ليس لقاتليهم حق ما ولا شبهة حق بأن يكون حقاً عرفياً لا حقيقياً مطابقاً للواقع . فكيف تقول بعد هذا إن ما ذكرناه في تصوير الحق العرفي يدل على اننا نجوز أن يكون قتل الانبياء حقا وانه نص في ذلك ؟

إن من مدهشات العجائب أن يخطر هذا في بال أحد يفهم اللغة العربية ، ولو كانت العبارة توهم هذا وهماً يخطر في البال مع وجود ما ينافيه فيها لما عدمنا وقد مضى على نشر تفسير الآية في المنار وفي التفسير ربع قرن من ينتقد علينا هذا الابهام ويوجب علينا رفعه بنص صريح وفي الناس من ينظرون إلى هفواتنا بالمناظير المكبرة – ولكن وجد في أصدقائنا من فهم ما فهم وهو من أهل العلم والفقه ، فنستغفر الله لنا وله

كتبت هذا وأنا مصاب [illegible] ومنعني عن الكتابة وأسأل الله العافية

قرب الله تعالى من عباده

من مصطفى نور الدين ، إلى إمام المسلمين ، وملجأ المسترشدين ، السيد محمد رشيد رضا متعه الله بالصحة والعافية ونفعنا بعلومه آمين .

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فقد قرأت في الجزء الثاني من تفسير المنار لقوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) هـذه العبارة وهي في آخر سطر من الصفحة ١٧٨ : وقال الاستاذ الامام يصح أن يكون من قرب الوجود فان الذي لا يتحيز ولا يتحدد تكون نسب الامكنة وما فيها اليه واحدة فهو تعالى قريب بذاته من كل شيء إذ منه كل شيء إيجاداً وإمداداً واليه المصير . وهذا الذي قاله من الحقائق العالية وعليه السادة الصوفية ، فقد قال أحد العلماء في قوله تعالى (ونحن أقرب اليه منكم) أي اذا بلغت روحه الحلقوم أن القرب بالعلم وكان أحد كبار الصوفية حاضراً فقال : لو كان هذا هو المراد لقال تعالى في تتمة الآية (ولكن لا تعلمون) ولكنه لم ينف العلم عنهم وانما قال (ولكن لا تبصرون) وليس شأن العلم أن يبصر فينفى عنا إبصاره وانما ذلك شأن الذات اه بالمعنى ...

لما قرأت هذه العبارة ووجدتها مصرحة بأن الله قريب بذاته من كل شيء من مخلوقاته ومخالفة لما ذهب اليه السلف من أن الله مستو بذاته على عرشه بائن من خلقه مع قربه منهم بعلمه عجبت لاقراركم بل استحسانكم لمضمونها وانما عجبت لأني أعلم أنكم من أحرص الناس على اتباع السلف في شدة التمسك بالكتاب والسنة ولأني أعلم بأنكم من أعلم الناس بالنصوص الدالة على مذهب السلف في هذه المسألة وهي كثيرة ومستفيضة شهيرة من الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم خصوصاً ماجاء من ذلك في كتب ابن تيمية وابن القيم ، وكتاب العلو للذهبي . ومن تأمل الآية التي في سورة الحديد تجلى له بأجلى بيان ان مذهب السلف في هذه المسألة هو الصواب (وههنا ذكر المنتقد الآية وتكلم في تفسيرها وحديث « اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء » وتفسيره ثم قال)

وأما الاستدلال بقوله تعالى (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون) على أنه تعالى قريب بذاته من مخلوقاته فهو استدلال باطل لانه مبني على معنى مخالف لما عليه جمهور المفسرين [illegible] قرب الله من المحتضر بالعلم ، وفسر (تبصرون) بمعنى الأبصار بالبصيرة وهذه عبارة الجلال (ونحن أقرب إليه منكم) بالعلم (ولكن لاتبصرون) من البصيرة أي لاتعلمون ذلك اهـ . وبعض المفسرين وهم الأكثر فسر القرب بقرب الملائكة من المحتضر وفسر تبصرون من الابصار بالبصيرة ، ومن ذلك تعلم أن الاستدلال بهذه الآية على أنه تعالى قريب بذاته من مخلوقاته استدلال فاسد لانه لم يسلك قائل هذا القول أحد التفسيرين بل لفق بينهما ففسد المعنى ، ثم لا غرابة ولا بعد في هذا التفسير الثاني من حيث إسناد قرب الملائكة الى الله فقد عهد له نظير في القرآن فقد قال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) مع إسناد التوفي الى الملائكة في قوله تعالى (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) وفي قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت) وأمثال ذلك في القرآن كثيرة لمن تأمل :

والخلاصة أن المقصود من كتابتي بهذا لفضيلتكم هو أني أرجو افادتي بما يزيل عجبي ولكم مني الشكر ومن الله جزيل الاجر

مصطفى نور الدين — بدمياط

[المنار] أقول (أولا) ان قرب الوجود بالمعنى الذي فسره به الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أقرب الى مذهب السلف في علوه تعالى على خلقه مع مباينته لهم وهو قوله ان نسبة الامكنة وجميع مافيها اليه واحدة . ففيها رد لقول من يقول ان الله تعالى في كل مكان من أهل الحلول الذين عنى علماء السلف كل العناية بالرد عليهم بقولهم انه تعالى فوق عباده بائن من خلقه . وأما عبارة ذلك الصوفي فليست كعبارة الاستاذ فما ذكرناه من التقريب بينهما هنالك احتمال رجحه عندنا تحسين الظن بقائله ولا يتم منه إلا العلم بأنه حلولي فان منهم الحلوليين كما ان منهم المحدثين الاثريين كشيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي الانصاري على ما في كتابه منازل السائرين من عبارات منتقدة ـ وكالشيخ عبد القادر الجيلاني رحمهما الله تعالى وهما من مثبتي صفة العلو ومنكري تأويل الصفات . وسيأتي تتمة لمعنى قرب الوجود في آخر هذا الرد

(وثانيا) ان قول المنتقد لمذهب السلف الى ان الله تعالى « مستو بذاته على عرشه » خطأ وان نقل ذلك عن بعض الاثريين من أهل القرن الثالث والرابع وما كل ما قاله عالم منسوب [illegible] واسناد الاستواء الى الذات لم يرد في كتاب الله ولا في حديث متواتر ولا آحادي صحيح مرفوع الى رسوله ﷺ ولا نقل عن جماعة الصحابة ولا عن واحد منهم ، ولا علماء التابعين ، على أن العمدة في العقائد نصوص الكتاب العزيز والسنة الصحيحة القطعية الدلالة أو إجماع أهل الصدر الاول . ومن الخطأ الذي فتن به جميع المنتمين إلى المذاهب حتى مذهب السلف الذي ليس مذهب شخص معين أن يأخذ المقلدون له قول كل عالم منسوب اليه ويعدونه من أصول المذهب المسلمة أو أحكامه المتبعة ، ويعدون مخالفه مخالفا للمذهب

نقل الحافظ الذهبي في كتاب العلو عن ابن أبي زيد شيخ المالكية في عصره أنه قال في رسالته المشهورة في مذهب مالك : وانه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته وانه في كل مكان بعلمه . اه وقفى الحافظ على هذا بذكر من نقل عنهم مثل هذا القول قبله وبعده باللفظ أو المعنى كقول بعض العلماء : « والله تعالى خالق كل

شيء بذاته ومدبر الخلائق بذاته بلا معين ولا موازر » مع ان هذا على ما فيه ليس بمعنى ذلك ـ ثم قال الحافظ مناولاله ولمن لا ينهم من طائفته الاثرية ومنتقدا ما نصه:

وإنما أراد ابن زيد وغيره التفرقة بين كونه تعالى معنا وبين كونه تعالى فوق العرش فهو كما قال : ومعنا بالعلم وانه على العرش كما أعلمنا حيث يقول (الرحمن على العرش استوى) وقد تلفظ بالكلمة المذكورة [أي فوق عرشه بذاته] جماعة من العلماء كما قدمناه ، وبلا ريب ان فضول الكلام تركه من حسن الاسلام

الى أن قال بعد ذكر تاريخ وفاته سنة ٣٨٦: وقد نقموا عليه قوله بذاته فليته تركها اه . وهذا وما قبله من الانتقاد الادبي الصريح لهذه الكلمة غير المأثورة أي المبتدعة التي جعلها أخونا المنتقد أصلا من أصول مذهب السلف من الصحابة فمن دونهم

وأزيد على هذا ان قول ابن أبي زيد رحمه الله تعالى : وانه في كل مكان بعلمه ـ منتقد أيضا وان أراد بالضمير [illegible] تأويل بعض أئمة الحديث كأحمد بن حنبل لآيات المعية [illegible] بما هو أشبه بتأويل قولهم بما [illegible] في كل مكان وهي عين ما يقولون والضمير فيها لذات الله عز وجل . فقوله بعده « بعلمه » لا ينافي دلالة الجملة على كونه في كل مكان بذاته ـ لان المتبادر ان الظرف فيها متعلق بمحذوف تقديره متلبسا أو متصفا بعلمه ـ وهذا الوصف الواقع فضلة في الكلام لا ينقض معنى ما هو العمدة فيه ولا يقيده بجعله بمعنى قول آخرين من علماء السلف: وعلمه في كل مكان . فان صفة الذات كالعلم لا توجد الا حيث توجد الذات أي لا توجد إلا بوجودها لاستحالة انفصالها عنه ، وإنما الذي يصح أن يقال انه تعالى فوق عباده مستو على عرشه ويعلم كل شيء من أمور خلقه كما قال تعالى (ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض) الخ

(وثالثا) قال المنتقد ان الاستدلال بقوله تعالى (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) على قرب الذات باطل « لانه مبني على معنى مخالف لما عليه جمهور المفسرين » ونحن نقول بصرف النظر عن أصل المسألة ان هذا تعليل لبطلان لا يقبله

أحد من أهل العلم لانه نص في أن كل ماخالف ماعليه جمهور المفسرين باطل ، وهذا باطل بالبداهة ولم يوجد عالم من المفسرين ولا من غيرهم قال ان قول الجمهور منهم أو من غيرهم قطعي كنصوص الكتاب والسنة فيكون كل ماخالفه باطلا .

ثم بين ان للجمهور قولين أحدهما تفسير (تبصرون) بأنه من البصيرة أي العلم وذكر عبارة الجلال فيه ، وثانيهما فسر القرب بقرب الملائكة من المحتضر وبأن (تبصرون) من الابصار بالبصرة ، وعزا هذا القول للاكثر فيكون هو قول الجمهور عنده ، ونحن لانعرف من مفسري السلف رواية في ذلك وانما هو قول مصنفي التفسير ، وقد يقال ان قوله تعالى قبل الآية (وأنتم تنظرون) دليل على ان الابصار المنفي هو إدراك البصر لا البصيرة ـ وان البصيرة ليست مرادفة للعلم وانما تدل على العلم المؤيد بالدليل أو اليقين في المرفة أو مافيه عظة واعتبار ، وتفسير ضمير الذات من الله عز وجل وهو (نحن) بالملائكة تأويل بعيد من اللفظ جداً وهو عين التأويل الذي ينكره السلف على المبتدعة

ولكن المنتقد [illegible] هذا التأويل [illegible] قوله انه [illegible] نظيره في القرآن وهو قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) مع إسناد التوفي الى الملائكة في قوله تعالى (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) وفي قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) قال وأمثال ذلك في القرآن كثيرة لمن تأمل

وهذا التأويل الذي ذكره لآية توفي الله للانفس لايجري على طريقة السلف ولا الخلف فتوفي الله للانفس غير محال عقلا ولا شرعا فتأوله بجعل لفظ الجلالة فيه بمعنى الملائكة (!!) فالله تعالى هو الفاعل الحقيقي للتوفي ولكل شيء من تدبير الكون ، وقد أسند التوفي اليه في آيات كثيرة لم يقل أحد من السلف ولا من الخلف فيا نعلم أنه أراد بها اسنادها الى الملائكة ، نعم انه أسند التوفي أيضا الى ملائكته والى رسله أي من الملائكة في آيات أقل من الآيات التي أسنده فيها الى ذاته خبرا ودعاء ـ وأسنده في آية أخرى الى ملك واحد (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) والجامع بين هذه الآيات كلها ان المتوفي الحقيقي للانفس والارواح هو الله تعالى وان وكل بذلك ملكا له أعوان من الملائكة يتولون تنفيذ أمره تعالى

وذلك الملك هو الرئيس لهم كما ورد في التفسير المأثور وذكرناه في محله من تفسيرنا

ولو تفكر أخونا قليلا في هذه المسألة التي توهم ان ماقاله فيها ضروري لا خلاف فيه وتأمل بقية آية الزمر ثم تذكر ما في معناها من الآيات لما تعجل بكتابة ما كتبه ليخطيء به غيره في فهم كلمة من آية

قال تعالى (فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى) فهل يتجرأ على القول بأن الملائكة هي التي تفعل ذلك ؟

وقال تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) فهل يقول بجواز اسناد هذا الى الملائكة وإن كان بصفة الحصر ومع ماعطف عليه من العلم أم يفرق بين ضميري الفعلين فيجعل الاول للملائكة والثاني لله ؟

وقال (والله الذي خلقكم ثم يتوفاكم) فهل يفرق بين ضميري الفعلين فيجعل الاول لله والثاني المعطوف عليه للملائكة

وقد علمنا تعالى أن ندعوه بقولنا (وتوفنا مع الابرار) وقوله (وتوفنا مسلمين) فهل يجوز أن يكون الخطاب في هذا الدعاء للملائكة ؟

إنني أملت [illegible] قاله [illegible] أخي [illegible] الله [illegible] لأجل الاستزادة من العلم بأن لا يتجرأ [illegible] على التخطئة والتصويب والترجيح والتجريح في تفسير كلام الله بغير تدقيق وتحقيق وطول بحث وكثرة مراجعة

إنه خطأ ذلك الصوفي وشيخنا في تفسير آية واحدة سلكا في تفسيرها مسلك السلف من حيث الاخذ بالظاهر وعدم التأويل فان الله تعالى أسند «أقرب» الى ضمير الذات «نحن» فمعناه انه قريب بذاته ووجهه على مذهب السلف أن يقال انه قريب بذاته كما يليق به لا كقرب الاجسام بعضها من بعض وهو قرب المسافة التي تحدد بالذراع والباع معاً كما يقولون انه استوى على عرشه وينزل الى سماء الدنيا ويضحك ويسمع ويرى كما يليق به لا كما هو المعهود من المخلوقين، والمتأولون للآية انما تأولوها كما تأولوا الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا وغير ذلك من الصفات والافعال لزعمهم ان اسنادها الى الذات يوهم الحلول والتحيز كما قالوا في سائر الصفات .

وهذا سبب تأويل علماء السلف لآيات المعية كلها حتى قالوا ان الامام أحمد لم يتأول غيرها وانتقد عليه ذلك بعض العلماء السلفيين وانه لم يكن في حاجة الى

ذلك كما تراه في رسالة العلامة الشوكاني . وانما كان سبب هذا التأويل منه ومن غيره وجود طائفة من المبتدعة تقول ان الله تعالى حال في العالم كحلول السمن في اللبن، والروح في البدن ، وطائفة تقول انه هو عين العالم ، وهذا نقض لما كان عليه السلف من الايمان بأنه تعالى فوق جميع خلقه بائن منهم . ولكنه على كل حال تأويل بحمل اللفظ على غير ظاهره ليوافق العقيدة وهذا ماجرى عليه المتكلمون كافة في تأويلهم ولا سيما الاشعرية الذين يخطئهم السلفيون أهل الأثر

وأنا حملت كلام الاستاذ الامام على مذهب السلف لانني أعلم أنه كان سلفي العقيدة كما صرح به قولا وكتابة ، على انني ذكرت في التفسير انه كان يسبق الى فهمه في بعض الصفات ماجرى عليه مفسرو الاشعرية من التأويل لما كان من توغله في علم الكلام . وليس حملي هذا بتكلف بل هو مراده قطعاً ، وحملت عليه كلام ذلك الصوفي في تفسير آية (الواقعة) أيضاً لانه مع احتمال عبارته له لا يصح أن يحمل على مذهب الحلول إلا اذا علم ان قائله كان حلوليا ، وأنى لنا بذلك ؟

واذا أنت رجعت الى ما ورد في سبب نزول الآية التي نحن بصدد الكلام عليه رأيت ان بعض الصحابة (رض) سألوا النبي (ص) أربنا، وفي رواية ان بعضهم سأله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية في ذلك

ومن المعلوم بالضرورة ان الصحابة (رض) لم يكونوا يجهلون ان الله تعالى يسمع كل دعاء ، ويعلم مراد كل داع ، وانما سألوا أيسمع عن قرب أم عن بعد ؟ فأجابهم تعالى بأنه قريب وبين لهم رسوله ذلك بأنه أقرب الى أحدهم من عنق راحلته ، وأبلغ منه قوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وأصح من تلك الروايات مارواه الشيخان من قوله (ص) للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالتكبير « أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميعاً بصيرا قريبا» فقوله قريبا ليس من اللغو ولا هو بمعنى عليم، وما أول الآية به الزمخشري مفسر المعتزلة أقرب الى اللغة من تأويل القرب بالعلم وهو انها تمثيل لحاله في سهولة اجابة من دعاه وسرعة انجاحه لحاجة من سأله بمن قرب مكانه فاذا دعي أسرعت تلبيته . والغرض من التأويلين نفي قرب المكان . فكيف نرده لانه تأويل أخرج به اللفظ عن حقيقته وجعله استعارة تمثيلية ؟ والاستعارات التمثيلية كثيرة في القرآن

وهي من أكبر آيات بلاغته . وقد صرح الكرخي في تفسير القرب على مذهب السلف فقال: الحق أن القرب من الصفات نؤمن به ونمره على ما جاء، ولا نأول ولا نعطل اهـ

ومما ورد في القرب ولا يصح جعله بمعنى العلم قوله تعالى لخاتم رسله (٣٤ : ٥٠ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب) وقوله (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه إن ربي قريب مجيب)

وخلاصة ما تقدم أن الاصل في مذهب السلف فيما وصف الله به نفسه وما أسنده الى ذاته من الافعال أن نؤمن بها كما وردت ونفسرها بما تدل عليه عبارتها العربية من غير تأويل ولا تعطيل ، مع مراعاة تنزيهه تعالى عما قد يوهمه اللفظ في نفسه من تشبيه بخلقه . ومن فهم مع التمسك بهذه القاعدة من كلام الله تعالى في بعض الآيات فهماً يزداد به هو وغيره ايماناً بالله كما كان ممن قال فيهم أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه لما سأله أبو جحيفة هل خصكم رسول الله (ص) بشيء من العلم قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في القرآن الخ فيراجع نصه في صحيح البخاري .

بعد هذا نتمم هذا البحث بأن قرب الله من عباده لا يفهمه حق فهمه كعينه إلا بتذكر آيات أخرى كقوله تعالى (إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا) وقوله (والله من ورائهم محيط) وقوله (وما رميت إذ رميت) وقوله (قل من بيده ملكوت كل شيء) الخ وتذكر العقيدة الاسلامية المتفق عليها بدلالة أمثال هذه الآيات وما في معناها من الاحاديث وهي ان الايجاد والامداد للعالم كله كليهما بيد الله تعالى لا تستغني ذرة من الكون عنه تعالى طرفة عين . فمن كان هذا شأنه كان قريباً من كل شيء، علماً وقدرة وتدبيراً وتصرفاً ، ومنه اجابة الدعاء ، والنصر على الاعداء ، وتقليب القلوب والابصار الخ وتصرفه في كل ذلك كما قال (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) فكل هذه المعاني تدخل في باب قربه من خلقه ، وهي تتعلق بعدة من صفاته ، فاذا هو أسند القرب الى ذاته أمررناه كما هو مع التنزيه من تأويل ينافي الاسناد الى الذات ، ولا تعطيل يجعله كاللغو بل نعطي كل مقام من المعنى ما يليق به من علم وتصرف وغير ذلك ، والله أعلم

الاكثرية والاقلية

أو

المسلمون والقبط

نعود اليوم هذه المسألة الخطيرة الشأن إلى الظهور مرة أخرى على صفحات الجرائد اليومية وغير اليومية ، بعد أن اتفق عقلاء الامة في إبان الحركة القومية عام ١٩١٩ على دفنها في زوايا النسيان واعتبار الخوض فيها لايتفق مع مصلحة الوطن في شيء . وناهيك بأن الدولة المحتلة ترى في اثارة هذه المسألة وأمثالها ذرائع تتذرع بها للوصول إلى مآربها الاستعمارية في المسألة المصرية حتى إنها وضعتها في القسم الثاني من التحفظات التي حلها تصريح ٢٨ فبراير المشهور

لكن رغبة العقلاء من أبناء الامة لا تستطيع أن توقف الطغيان الاجتماعي الذي برزت آثاره ماثلة في كل مرافق الحياة وليس في مقدور أحد أن يقاوم الطبيعة ولو إلى حين ، من أجل ذلك عادت هذه المسألة فأصبحت حديث الناس وموضع شكوى المتذمرين والمتألمين

نحن في مقدمة المعجبين بنشاط اخواننا الاقباط وتضامنهم بل تفانيهم في الحرص على مصلحتهم الطائفية التي أصبحت خدمتها مدعاة الفخار لكثير منهم

لكن هذا الاعجاب الذي نضمره لاخواننا القبط لا يصادف على الدوام ارتياح جمهور اخواننا المسلمين الذين يشاهدون أن اخوانهم بفضل وسائل السعي والتكافل قد قبضوا على نواحي الاعمال المهمة في دوائر الحكومة والشركات وهي تكاد تكون أهم مصادر العيش للمتعلمين والاميين

ماذا تقول للشاب المسلم الذي يحمل أعلى الشهادات اذا قرع باب مجلس النواب مثلا فرفض طلبه وهو يرى أن رؤساء فروع الاعمال سواء كانت كتابية أو فنية أو غير ذلك جميعا في أيدي الاقباط ومعظمهم لايتمتع بالشهادة التي يتمتع بها هذا المسلم ؟ لاجدال في أن هذا الذي رفض طلبه يقول ان هذا التضامن لم يكن لتحسين أحوال الطائفة القبطية فقط ، بل لهضم حقوق المسلمين . واذا عرفت أن

٦٣ في المائة من عمال الترامواي الوطنيين أقباط والباقي من المسلمين وبعض الغرباء لقلت مع ذلك العامل الذي زاحمه قبطي بتوصية من فخري بك عبد النور مثلا : ان هذا التضامن متجه كله لغمط حقوق الاكثرية

نعم إن الحياة تزاحم ولا يفوز فيها إلا الجسور المزاحم والا حقت عليه سنة تنازع البقاء . ولكن ما العمل اذا كانت الاكثرية في غفلة عن التضامن والاقلية تتضامن للحياة فتنتزع حقوق الاكثرية ؟ عند ذلك لابد من التذمر والشكوى الذين نراهما اليوم وقد أوشك أن يرتفع الصوت الصاخب فيهما، وتشق الوحدة التي جاهدنا كثيراً للحصول عليها فتكون النتيجة في مصلحة المحتل

كان اخواننا الترك في عهد الدولة العثمانية المرحومة لا يسمحون لأبناء العرب سواء كانوا سوريين أو عراقيين أو غيرهم أن يطالبوا بأدنى حق من حقوقهم في الدولة بحجة أن هذه المطالبة باسم العرب معناها التفرقة بين الترك والعرب وفي هذا ما فيه من الدمار لقضية الوطن . فكان الترك يستغلون سكوت العرب ويعلمون أولادهم وأولاد المتمصرين [illegible] على حساب ميزانية المعارف العامة التي [illegible] البلاد العربية ويحرم أبناء هذه البلاد من التعليم ومن بث الشكوى من ذلك وإلا نعتوا بأنهم رجعيون .

والظاهر أن الحالة في مصر آلت في هذه الايام إلى ما آلت اليه حالة الترك والعرب قديما . فالمسلمون يعلمون أن الغبن يحف بهم من الجهات الست ولا يستطيعون أن يتكلموا في أمر هذا الاشكال الاجتماعي الخطير الذي تناول العيش مخافة أن يقال إنهم يعملون على شق عصا الوحدة . ولكن التاريخ العثماني لا يزال ماثلا أمام الجميع فان صبر العرب فرغ في يوم من أيام سنة ١٩١٦ وقام العرب في وجه الترك لا يطالبون بحقوقهم في الدولة ، بل يطلبون الاستقلال عن العنصر التركي واجلاءهم عن بلادهم لان ثورة البطن كما يقول الالمان أم ثورة .

واذا قسنا الامور بأشباهها جاز لنا أن نقول إن هذا التذمر الذي منشؤه تضامن الاقلية على هضم حقوق الاكثرية التي استنامت بشكل لم يعهد له نظير في التاريخ الحديث في الوقت الذي تسكت الاقلية كل من يتحدث في هذا الامر

وتصيح في وجهه إنها هي المظلومة المضطهدة — لابد وأن ينتهي بما لا يتفق مع مصلحة الوطن عموما والاقلية خصوصا ، وقد شرع بعض الافاضل يتكلمون في هذا الموضوع بما توجبه المصلحة الوطنية ، ثم انتقل كما قدمنا إلى الصحف فتناوله بعضها بما يجب . وأخيراً قرأنا في السياسة الاسبوعية منذ أسابيع مقالا رئيسيا لحضرة رئيس تحريرها الدكتور حسين هيكل بك تناول فيه هذه المسألة الخطيرة من نواحيها المتعددة فوصف ألوانا كثيرة من آلامها ولكنه لم يوفق إلى وصف العلاج ولا أشار إلى طريقة المعالجة الا اشارة سطحية لا تغني فتيلا

وقد بنى مقاله هذا على أمور كثيرة كان أظهرها نتيجة الامتحان النهائي لمدرسة الطب الملكية في هذا العام ، فقد تبين أن عدد الناجحين ٨٣ طالبا منهم ٣٠ مسلما والباقي من الاقلية

وقد كانت هذه النسبة [illegible] كافية [illegible] في الكاتب مواضع البحث الدقيق فنبه أمته إلى الحالة الخطيرة [illegible] الاكثرية وإهمال المسئولين من قادتها كذلك فعل [illegible] النسبة في شهادات مدرسة الطب فذكر [illegible] بواعث كثيرة أهمها المحافظة على جامعتها كما هي الحالة في يهود الروسيا وبعض الاقليات الاخرى في أوربا وأمريكا وأن هذا التضامن له في التاريخ أسوأ النتائج وأفعل الثورات لأنه ينتهي بالاقلية إلى احتكار الاموال والمراكز الرئيسية في الحكومات وضرب لذلك أمثالا عديدة ولا سيما في أوربا وأمريكا ـ وأن الاكثرية تثور عندما تنتبه في وجه الاقلية . ثم أبان أن الحالة هنا بدأت بالتذمر همسا وارتفع هذا الهمس قليلا وربما صار صوتا صاخبا وأن الوطنية تقضي أن ينتبه الانسان إلى الخطر قبل وقوعه ، وانتهى من مقاله بأن أهاب بالمسلمين أن يحذروا خطر هذه الحالة المائلة ، وأن ينصرفوا بكل قواهم إلى العلم

ولما قرأنا مقال الاستاذ هيكل بك أحببنا أن نعلق عليه ببيان العلاج الناجع لكننا تريثنا قليلا لنرى آراء الاقلية فيه ، فلم يمض على نشر هذا المقال ثلاثة أيام حتى رأينا الاقلية امتعضت منه وشرعت تحاربه ناسبة إلى ذات الكاتب الرغبة

في اظهار غيرته على الاسلام ليكون مقبولا في الانتخابات القادمة عند الاكثرية المسلمة ، وذهب آخرون منهم إلى أن الرجل يحاول التفريق بين العنصرين المسلمين والقبط ، وتناوله بعضهم بتهم كثيرة لاشأن لنا بها ، وانما الذي يعنينا أننا فهمنا أن الاقلية لاتحب البحث في هذا الموضوع لان فيه تنبيها للأكثرية ليس من مصلحة الاقلية البحث فيه

ثم طلعت علينا جريدة المقطم الغراء بمقال مهم لرجل من رجالات الاقلية قدمت المقطم لنشره مقدمة قالت فيها إنها ترددت عدة أيام في نشره ثم نشرته . وقد رأيناه لايخرج عن المقالات التي نشرتها الاقلية بشيء يستحق الذكر اللهم الا اعادة النغمة القديمة التي عقد المؤتمر القبطي المعهود في أسيوط من أجلها وهي أن الاقلية التي لم تتمتع إلى الآن بوظيفة مدير هي المضطهدة حقا . وأن القبط هم أهل البلاد الحقيقيون فلا يقاسون باليهود في أوروبا وأمريكا . فهم الاستاذ هيكل هذه الآراء كلها ورد عليها رداً وجه أكثره إلى تبرئة نفسه مما نسب اليه من الاغراض وأنه لايقصد الا التنبيه [illegible] من [illegible] الوطن . ثم كرر ماقاله أولا من ضرورة أخذ الأكثرية [illegible] لعصم الاكثرية من الخطر الا العلم وحده .

تلك خلاصة ما كتبته السياسة الاسبوعية ومخالفوها في هذا الموضوع الخطير والذي نعجب له أننا لم نقرأ كلمة من كتاب الاكثرية في أمر كهذا يمسها في الصميم من شؤونها الحيوية كأن الله تعالى كتب لهذه الاكثرية المسلمة أن تظل في غفلة عن كل أمر يتعلق بجوهر حياتها

لم تتقدم الاقلية في مصر وغير مصر بالتذمر وإن انقلب همساً ولا بالهمس وإن تحول إلى صخب ، ولا بالانتقاد مهما يكن مراً . وما كانت مقالات الكتاب وحدها بعاملة عملا جديا في المسائل الخطيرة فالاقلية بلغت في مصر مابلغته بأسباب جليلة الشأن لايمكن للأكثرية أن تنهض من مستواها الذي وصلت اليه الا اذا توسلت بما توسلت به الاقلية حذو النعل بالنعل

انظر الى شابين من عمر واحد وذكاء واحد وثروة واحدة وحي واحد ،

دخلا مدرسة واحدة ! تجد ان القبطي منهما يتقدم على المسلم في العمل والجد والمثابرة والصبر وما الى ذلك من وسائل النجاح ، والمسلم يتأخر عنه ثم تكون النتيجة كما رأيت من نجاح ٥٣ قبطيا و ٣٠ مسلما في مدرسة الطب ، وعدد الاقباط لايبلغ المليون والمسلمون ١٤ مليونا أو يزيدون . فما السر في هذا الامر العجيب مع أن الاقباط ليسوا أسمى ذكاء من المسلمين بل الثابت ان المسلمين بالنسبة لاختلاطهم بالعناصر الاسلامية التي جددت فيهم الدم المصري أكثر ذكاء ، والبرهان على ذلك ظهور كثير من النوابغ بين المسلمين وندرة النبوغ في الاقلية مع المحافظة على النسبة ! السر في جميع ذلك لم يكن من طينة الشاب المسلم ولا من فطرته السليمة فقد يكون أذكى وأنبل من القبطي ولكن السر كل السر في ان المسلم ليس وراءه هيئة من الهيئات التي تتولى شؤون الجماعات والافراد ترشده وتوجه قواه الى الحياة القومية والملية كما هي الحال عند الطائفة الاقباط وغيرهم من الاقليات الشرقية غير المسلمة في مصر

في القطر المصري [illegible] المرار من القساوسة والى جانب هؤلاء الجمعيات الملية الكثيرة [illegible] المجلس الملي في القاهرة يضم بين أعضائه خيرة رجال الاقلية علماً وهمة وإخلاصا ويحيط بهؤلاء مئات المجلات الدينية القبطية شهرية أو نصف شهرية

كل هذه الهيئات الوطنية لا وظيفة لها الا ارشاد العائلات والافراد القبطية في مصر الى مصالحها الدينية والدنيوية ، فانك اذا وزعت هذه المجلات القبطية والقساوسة على عدد أفراد الاقلية القبطية تجد ان الواحد منهم يتصل بارشاد الكنيسة مرة في الاسبوع ويزوره القسيس مرة أخرى ويقرأ ثمرة أفكار القيورين من كتاب القبط وواعظيهم مراراً وكل هذا مرتبط بالمجلس الملي القرملي وارشاداته وأعماله المتواصلة لمصلحة الطائفة القبطية دون سواها .

ثم لاتظن ان ذلك على أهميته هو الذي خطا بالاقلية القبطية الى هذه الغاية التي وصلت اليها فأدهشت الجميع ، بل ان هناك جيشا عظيما من الجمعيات التبشيرية الاميركية والانكليزية واللاتينية للبنين والبنات وهناك جمعيات شبان المسيحيين

وجمعيات اخوان الكتاب المقدس وجمعيات كثيرة أجنبية كلها تعمل فوق عمل الجمعيات القبطية بجد ونشاط لترقية حال الأقلية المسيحية وهي لا تتأخر أن تمد أفراد هذه الاقليات بنفوذها السياسي عند السلطات العليا. فإن جمعيات البروتستانت كانت توظف حتى الخاملين من اخواننا الأقباط في المراكز المهمة بشرط تغيير المذهب من كاثوليك أو أرثوذكس الى بروتستانت .

وهناك عوامل أخرى يضيق نطاق البحث عن استيعابها اجتمعت كلها في مصلحة الناشئة القبطية وغيرها من الاقليات حتى حملت أفراد الاقلية على الشعور القوي وبلذة الاستفادة من هذا التضامن فلا عجب اذا رأيت بعضهم يسعى أن يعين بالوظيفة قريبه أو صديقه من الاقلية قبل أن تخلو لأنه نشأ على هذا وأعد له عدته وأصبح من متممات حياته ومقومات ملته ولو كنت مكانه لما فعلت غير فعله

لكن من للناشئة الاسلامية في مصر وغير مصر ؟ وأنى لها بقوة واحدة من هذه القوى التي ألمعنا اليها ؟

ليس للفتى [illegible] جمعيات خلية ، ولا ارشادات دينية، ولا مجلات اسلامية تقدر قدرها ، فكيف يستطيعان مجاراة اخوانهم أفراد الاقلية المسلحة بأحدث الاسلحة وهما أعزلان من كل سلاح ، دع مايحيط بهما من وسائل الفساد والدمار؟

يقولون : إن جماعة الاقلية القبطية في الوفد استغلت جميع الحركات التي قام بها حتى سيطرت على معظم شؤونه فبات لا يتحرك حركة جدية الا متأثرة بنفوذ الاقلية وأن استغلالها هذا بدأ في عهد المرحوم سعد باشا نفسه على ما به من قوة إرادة ، ونحن لا يهمنا مبلغ ما في هذه الاقوال من الصحة فان سنة الطبيعة قضت أن يستغل القوي الضعيف. فليس العيب عيب القوي لأنه استبد بل عيب الضعيف الذي ضعف حتى استنام فاذا لم تستغل الاقلية القبطية ضعف الاكثرية المسلمة استغلتها أية أقلية أخرى ، سنة الله في خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

وإذا أردنا أن نحلل المسألة تحليلا بسيطا ونجاهر بالحقائق وندلل عليها وجب أن نصرح بأن الاقلية مها تقدمت وارتقت فلا يعد رقيها رقياً لمصر ، بل لو أصبح كل فرد من اخواننا القبط مثلا عالياً في العلم والثروة والجاه والرقي وكانت الاكثرية كما نشاهد اليوم لظلت مصر متأخرة ، لان الاقلية التي لاتتجاوز الواحد بنسبة ١٤ لايمكن أن يؤثر رقيها على رقي المجموع التأثير المطلوب ، وهذه النظرية نفسها كان أبناء العرب في السلطنة العثمانية يجيبون بها الترك في حين أن الفرق بين الترك والعرب لايعتبر شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الفرق بين نسبة المسلمين والقبط ، لذلك فان عمل القبط لمصلحة الطائفة وحدها ليس من مصلحة الوطن في شيء مها تعددت مظاهره وهذه الحقيقة التي يجب أن نجاهر بها لاخواننا القبط لان السكوت عنها اما خيانة وطنية أو جبناً تأباه مصلحة البلاد

لكنك لانستطيع أن نقول للاقلية: ابقي مكانك حتى يسير بنا الزمن وتطورات الاقدار الى ماوصلت [illegible] والاقدار نفسها تهزأ بك وبكسلك وتواكلك [illegible] كما أنه ليس في طبيعة الاقلية أن تستعد لتعطيل سيرها الى الامام لاجلك ، فالواجب عليك أن تعمل مثلها عملوا وإلا حقت عليك سنة الفناء وورثتك الاقلية ليس بالوظائف والاموال كما يقول الدكتور هيكل بل بكل شيء تعتز به الأمم. إذن ليست الصيحة في وجه الطلاب أن يتعلموا ، بل الصيحة في وجه المسئولين من الاكثرية كي يعملوا لابنائهم ومستقبل الوطن كما عمل المسؤولون من الاقلية لابنائهم ومستقبل طائفتهم ، ووسائل العمل وإن كنا لانملك منها كل ماتملك الاقلية كالجمعيات التبشيرية الأجنبية . فلنعمل على الأقل عمل الهيئات المسيحية الوطنية ، وإلى هذا وأكثر منه تنبه اخواننا رئيس وأعضاء جمعية الشبان المسلمين . وبهذا تستطيع الاكثرية الحياة الصحيحة ومجاراة غيرها بل بهذا وحده يرتقي الوطن

جميل الرافعي

العقوبة في الاسلام

﴿ ليست تقريراً لنظرية الانتقام (١) ﴾

(المجتمع لابد لنظامه من تشريع العقوبات)

للاستاذ الفاضل صاحب الامضاء

قد اتفق لي ان لم أقرأ كلمة الاستاذ كامل البهتاري بجريدة السياسة الغراء تحت عنوان «الاجرام» في عددها الصادر يوم ١٤ من جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ ولكن لفت نظري بعض الذين يغارون على الاسلام ويعلمون أن مبادئه من أسمى المبادىء لنظام المجتمع .

قرأتها فاذا الاستاذ فيها يبين أن نظر المجتمع الى العقوبة على الاجرام قد أخذ في تاريخ البشر تطورات أربعة . فكان نظر المجتمع في عهد الانسان الاول - الى المجرم نظر الانتقام [illegible] «نظر اصلاح المجرم» ثم تطور الى «منع المجرم من الاجرام» [illegible] النظرية الاخيرة هي أحدث النظريات وأعجبها للكاتب . . .

بدأ الكاتب الكلام في نظرية الانتقام بهذه العبارة «كانت نظرية الانتقام التي أقرتها الديانة الاسلامية والتي أساسها «السن بالسن والعين بالعين» هو صورة واضحة من نظرية الانتقام التي كان يعامل المجرم بناء عليها والتي أصبحت لا تصلح مطلقا لهذا الزمن» . . إن الناظر في هذه العبارة يخيل اليه أن الكاتب كان قرما إلى أن يطعن تعاليم الاسلام السامية إذ لم يذكر في عبارته سوى الديانة الاسلامية مع انها كغيرها من الديانات في تقرير العقوبات فقد نص القرآن على أن عقوبة السن بالسن والعين بالعين كانت من تعاليم التوراة . . وكأنما كان أول ما يهتم له الكاتب أن يبين كون تشريع الاسلام غير صالح لهذا الزمن الذي لطفت فيه العواطف ورقت فيه البشرة فأصبح المجرم - بحكم العصر - لا يحتمل أن يؤلم ولا

---

(١) نقلا عن جريدة السياسة اليومية الصادرة في يوم الاثنين ٢٩ يناير سنة ١٩٢٨

يحتمل أن تمس كرامته : ولو أتيح للكاتب – وقلمه بين أنامله وقد جلس جلسة المتعقب للشارع الحكيم – أن ينظر فيما شرعه الاسلام من عقوبة ، نظرة الباحث عن الحقيقة لما وقع في ذلك الخطأ خطأ الحكم بأن ماشرعه الاسلام لتأديب المجرمين قد جارى فيه نظرية الانتقام وأصبح غير صالح لهذا الزمن

وقبـل أن أبين للكاتب أن نظرية الاصلاح ونظرية المنع اللتين قد افتتن بهما الكاتب ، قد وضعهما الاسلام من ثلاثة عشر قرنا ونسقها على أحسن وضع وأكمله لنظام البشر قبل أن يقررها «جورتيح» و «المدرسة الفرنسية الحديثة» قبل أن أبين للكاتب هـذا آتي مناقشه في أن تشريع الاسلام في العقوبات قد جاء على «وفق نظرية الانتقام» التي أصبحت غير صالحة لهذا الزمن :

إن الكاتب نفسه في الكلام على نظرية الانتقام قد ذكر أنه كان من أنواع العقوبات في طور الانتقام أن يصير الجاني رقيقا للمجني عليه وكان منها الغلي في الزيت وقتله جوعا وحرقه بالنار وقتله وإلقاؤه فيها وفصل الاعضاء وقطعها . ثم ذكر الكاتب أنه [illegible] القديم ، وخفت وحشية الانسان شيئا أصبح الموت عقوبة [illegible] كانت الكاترا في القرون الوسطى تعاقب على أكثر الجرائم بالموت ، فكانت تعاقب بالموت على السرقة والتزييف . وذكر الكاتب زيادة على ذلك أن ذكاء الانسان في طور الانتقام كان منصرفا الى اختراع وسائل التعذيب التي كان يطول معها خروج الروح

ذكر الكاتب كل ذلك ثم هو مع هذا يزعم أن الاسلام جاء مقررا (نظرية الانتقام) وإن الاسلام لبريء مما يرميه به الكاتب واليه أسوق تشريع الاسلام وما أقره ومالم يقرره حتى يتبين الضلال من الهدى

ماجعل الاسلام الاسترقاق عقوبة على جريمة ولا جعل كذلك الغلي في الزيت عقوبة على جريمة ولا جعل الاسلام الحرق بالنار أو الالقاء فيها أو القتل جوعا عقوبة على جريمة ، بل حظر كل ذلك حظراً شديداً . نعم القتل من العقوبات التي شرعها الاسلام ، لكن يجب أن يلتفت القاريء الى أنه لم يكن عقوبة على كل جريمة كما ذكر الكاتب أنه كان كذلك في طور القمع بل انما كان عقوبة على جريمتين

فقط جريمة القتل وجريمة الزنا من المتزوج

وقد كان يصح أن يغمز الاسلام في تشريعه لعقوبة القتل على جريمة القتل أن لو لم يرسم خطة الاصلاح والمنع المفتون بهما الكاتب ، ولكن ما بين لحضرته كيف أحكم الاسلام وضع هاتين الخطتين بحيث لو ترسمهما المجتمع ما كنت تسمع بالاجرام إلا كما تسمع بحوادث الزلزال أو انفجار البراكين ، وما شرع الاسلام عقوبة القتل على القتل وأرسلها إرسالا كما كان الشأن في طور الانتقام ، بل حاطها باعتبارات تبعد بها المراحل عن دائرة الانتقام وتنحى بالمجرم عن مخالب ولي الدم حتى لا يتمكن من إيقاع ما يشفي به نفسه من المجرم

فترى الاسلام أولا : حرم التمثيل بالمجرم وأوجب الاحسان في القتل بأن يسلك أسرع الوسائل إزهاقا للروح ، لا كما كان الشأن في عهد الانتقام الذي كان يتفنن الذكاء الانساني في تهيئة وسائل التعذيب والانتقام التي يعذب بها الجسد ويطول معها إخراج الروح ، واسمع إن شئت قول الرسول الكريم « إن الله كتب الاحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة »

وترى الاسلام ثانيا : [illegible] يتميز من الغيظ — أن يتولى عقوبة القاتل بنفسه ابتعاداً بالمجرم عما عساه أن يندفع اليه ولي الدم من إسراف في القتل ، بل أوجب على ولي الدم أن يرفع الامر إلى الحاكم حتى يتولى بنفسه إثبات الجريمة وإيقاع عقوبتها فأضعف بذلك سلطان ولي الدم على المجرم ، ثم جاء من جهة ثانية وأضعف سلطان الحاكم عليه بما جعله لولي الدم من حق العفو من المجرم الى العقوبة المالية « الدية » وأوجب على الحاكم قبول ذلك العفو وإعفاء المجرم من القتل ، فهل ينتظر حضرة الكاتب تخفيفا عن المجرم ولطفا به وراء ذلك ؟

وترى الاسلام ثالثا : قد ندب الحكام الى المبالغة في التحقق من ارتكاب الجريمة بحيث تزاح أمامهم جميع الشبه حتى لو حام حوالي الاجرام أضعف شبهة وجب أن يدرأ الحد عن المجرم ، قال الرسول الكريم ﷺ « ادرءوا الحدود بالشبهات » فهل ترى بعد هذه الاعتبارات أن في هذه العقوبة انتقاما ؟؟

المجرم قد فعل بالمقتول ما أمكنته منه الفرصة تعذيبا وتمثيلا ولكن الشارع

قد حاطه بكل ماأمكن من مظاهر الاحسان والتخفيف .

وبعد فليدع الكاتب كل هذه الاعتبارات وليحكم هو عواطفه في شأن النفس التي لم تؤثر فيها وسائل الاصلاح ولم تعقها وسائل المنع بل أقدمت بعد هذه وتلك على إزهاق نفس بشرية عمداً بغير ذنب ولا جريمة ، أفيستحق هذا المجرم في نظر الكاتب أن يعطف عليه ويوصف بأنه بائس ومسكين ، وهلا كان من شيء أن يترك المقتول من أطفال وزوجة وشيوخ من آباء وأمهات أحنام الدهر وقوستهم الايام ، هلا كان هؤلاء هم البؤساء والمساكين ، وهلا استحق ذلك المجرم الذي كسر عصام التي كانوا يتكئون عليها وأطفأ مصباحهم الذي كانوا يستضيئون به وسد عليهم سبل الحياة ، هلا استحق هذا المجرم أن تنزل به عقوبة القتل حتى لا تتكرر منه أمثال تلك الجناية ، وماذا عسى أن تمنعه من الاجرام والدروس أنه لم تهذبه نظرية الاصلاح ولم تعقه نظرية [illegible] العطف على المجني عليه وعلى الجاني كذلك باقامة مثال العقوبة أمام [illegible] (ولكم في القصاص حياة)

ألا فليقتصد [illegible] بمثل هذا المجرم رأفة فليس أوسع رحمة من [illegible] .

وأما الجريمة الثانية التي جعل الاسلام عقوبتها القتل وهي جريمة الزنا من المتزوج - فأي جريمة هي وما كنهها ؟ هي أن يتعدى الجاني على عفاف المرأة فيمزقه وعلى عرضه فيخدشه وهو بذلك قد تعدى على كل رجل يمت الى تلك المرأة بسبب قرابة فنزع عنه ثوب شرفه وتركهم سبة في الوسط الذي هم فيه فما هم رافعين بعد ذلك لهم رأسا وفي ذلك تكليم الأدبي الذي أهون منه تكليم الجسماني ثم هو قد تعدى كذلك على كل قريباتها فنزع عنهم أردية الشرف والعفاف لحال بينهن وبين أن يتزوجن ، إذ الناس يتخذون من تلك الحادثة مقياساً لعفتهن فيتحرجون من زواجهن وفي ذلك أي ضرر بهن ، ذلك هو كنه الجريمة . فهل بعد ذلك يستحق ذلك المجرم أن يعطف عليه ويوصف بأنه البائس المسكين ؟؟ ألم يكن أقرباؤها من الرجال والنساء هم البؤساء والمساكين

على أن الاسلام لم يجعل القتل عقوبة الزاني إلا اذا كان متزوجا «حكمة بالغة»

رأى الشارع أنه اذا كانت قد توفرت أسباب منعه من ارتكاب تلك الجريمة ثم هو لم يمتنع عنها فليس للمجتمع راحة وطمأنينة بغير تطهيره منه حتى لا يثلم شرف أسر أخرى، وواضح أن ليس في عقوبة الزاني بالقتل – مظهر للانتقام – إذ الجريمة خدش عرض وتسجيل عار والعقوبة قتل وإزهاق روح .

بقي أن الاسلام قد جعل عقوبة المتعدي على جارحة من جوارح الانسان أن يعاقب بإزالة مثل تلك الجارحة منه ، قال تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) . . . قد يقال إن مظهر الانتقام واضح في تلك العقوبة إذ جعل مثلا العين بالعين والانف بالانف الخ . ولكن اذا أنعمت الآية قراءة وجدتها قد بعدت بتلك العقوبة عن دائرة الانتقام بعداً شاسعاً إذ ندبت المجني عليه الى العفو عن أخيه حيث تقول (فمن تصدق به فهو كفارة له) فتراها للمبالغة في ترغيب المجني عليه في العفو عبرت عنه بالتصدق ووعدت عليه بالغفران، ولا يفوتك أن الاسلام قد حرم على المجني عليه أن يتولى القصاص بنفسه من الجاني لم يجعل له عليه سلطانا وأوجب على الحاكم أن يعفيه من القصاص متى عفى عنه صاحب الحق ، فلا هو أسلمه للمجني عليه ولا هو أسلمه الحاكم . فأين يريك في هذا « مظاهر الانتقام ؟ »

هذا من جهة نفي كونه « انتقاما » بقي أن ننظر الى التشريع في حد ذاته وهل بغيره يرتدع المجرم أو يصلح المجتمع ؟ . ان الذي يدرس نزعات النفس البشرية من جهة ويدرس حالة المجتمع من جهة أخرى يرى في هذا التشريع أحكم وسيلة لنظام المجتمع ، فان الغضب والسورة غريزة من غرائز النفوس البشرية وما أكثر دواعيه التي تقتضيها طبيعة الحياة البشرية ، تلك الحياة التي لا بد فيها من تناقض في الاغراض وتضارب في الشهوات والميول ، فلو لم يشعر الجاني حين تثار نفسه بداع من الدواعي أنه نازل به مثل ما ينزله بأخيه فماذا عساه أن يحول بينه وبين فقء عين أخيه أو قطع أذنه ، وان في كثرة هذا النوع من الاجرام اذا أهمل العمل بهذا التشريع لأكبر شاهد على أن هذه المبادىء من أسمى نظم البشر، ولو أننا

عملنا بهذا التشريع اقل وقوع مثل هذه الجريمة .

وقد كنت شغوفا أن أبين للكاتب مبلغ أحكام التشريع الجنائي في الاسلام وما له من الأثر الحسن في نظام المجتمع وطمأنينته ، وإن موعدنا المقال الآتي فسأتتبع فيه جزئيات العقوبة التي شرعها الاسلام حتى يتبين للناس حقيقة الأمر .

والذي أعنى به الآن بعد ما بان أن الاسلام لم يقرر « نظرية الانتقام » أن أبين للكاتب كيف أحكم الاسلام وضع « نظرية الاصلاح » و « نظرية المنع » من ألف وثلاثمائة وستة وأربعين عاما ، وانهما ليستا حديثتين أحدثهما « جورنج » و « المدرسة الفرنسية الحديثة » ولو أن الكاتب قد نظر في دين الاسلام نظرة العالم الباحث قبل أن يقرأ الكتب الافرنجية لما ارتطم في ذلك الخطأ المبين

يقول الكاتب في الكلام على « نظرية الاصلاح » « وبدأنا نصل الى رأي جديد كانت خلاصته مباحث العلماء المختلفين [illegible] « جورنج والمدرسة الفرنسية الحديثة » كما سبق أن تكلمنا عنه وهو أن المجرم [illegible] شخص كبقية النوع الانساني وأنه لا يرتكب ما يرتكب [illegible] انما كان لأن تعليمه والوسط الذي هو فيه كان [illegible] ويؤكد هذه النظرية الجديدة ما أثبته علماء الاجرام والمذهب الاجتماعي من أن الجرائم تابعة لحال الوسط الاجتماعية ومداها من الفساد والاصلاح » وانما سقت للقارئ عبارة الكاتب ليعلم أن كل ما وصل اليه جورنج والمدرسة الفرنسية الحديثة وعلماء الاجرام وعلماء الاجتماع هو أن وسيلة الاصلاح انما تكون بالتعليم وارتقاء البيئة والوسط الذي يحيا فيه الشخص، وإن هذا القليل من كثير مما وضعه الاسلام من وسائل الاصلاح

فالاسلام أولا قد حتم على كل مسلم ومسلمة طلب العلم مهما صعب الوصول اليه ومهما بعد منالا ، قال الرسول الكريم «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» «اطلبوا العلم ولو بالصين» وان من أول ما يجب من أنواع العلم الذي هو عام في عبارة الشارع ، أن يعلم الانسان ما لله من قدرة لا حدود لها وعلم بالسر وأخفى ووحدانية في الكون لا راد لما قضى ولا مانع لما أراد ، يعلم ذلك بناء على البراهين العقلية الملمة في النفس والآفاق (إن في خلق السموات والارض واختلاف

الليل والنهار لآيات لأولي الالباب) وإن امتلاء النفس بتلك العقيدة لوازع يصحب النفوس في خلوتها واجتماعها وليلها ونهارها فليس كوازع الجنود والخفراء (والبوليس السري) الذي إن أفاد نهاراً فليس بمفيد ليلا ، وإن عاق عن الاجرام في الاجتماع فليس بعائق عنه في الانفراد . ولو اننا نزلنا على حكم الاسلام فتعلمنا ماأوجب تعليمه لما أثقلت خزانة الحكومة المصرية بما هي مثقلة به اليوم من الاموال التي تنفقها على ادارة الامن العام

« وثانيا » فرض الاسلام على كل شخص خمس صلوات أي فرض عليه أن يقدم مراسم العبودية والتقديس لذي العظمة والجلال في اليوم خمس مرات تبتدئ من الصباح حيث يبدأ الناس اعمالهم وتنتهي بوقت نومه حتى يكون كل زمن اليقظة في مراقبة ربه وان هذا لمن أمتن الحواجز بين الانسان والاجرام « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »

«وثالثا» فرض الاسلام على كل شخص صيام شهر من السنة وفي ذلك اشعار النفس بانها لاتزال [illegible] عن الاسراف في الشهوات التي كثيرا ماتدفع الانسان إلى الاجرام حين لا يرى سبيلا إلى الحصول على شهوته إلا بالاجرام

«ورابعا» قد أوجب الاسلام علينا جميعا اسداء النصيحة لبعضنا والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالغ في إيجاب ذلك حتى فرض على الانسان أن يمنع الشخص عن الاجرام بالقوة متى استطاع فان عجز عن ذلك منعه بالقول فان عجز تنكر له من سكوت قال عليه الصلاة والسلام «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » أصل عظيم ومبدأ اجتماعي من اسمى المبادئ، لو أننا عملنا به لقل الاجرام الى أدنى حد ممكن في الاجتماع البشري فهل يبتغي لاصلاح المجرمين بوسائل وراء تلك الوسائل التي شرعها الاسلام من ثلاثة عشر قرنا ونصف .

وأما «نظرية المنع» التي سماها الكاتب حديثة جداً وفي الحق هي ليست بالحديثة جدا ولكنها قديمة جداً اذ قد وضعها الاسلام من ثلاثة عشر قرنا ونصف «ولاحل

ان نتبين كيف وضع الاسلام « نظرية الشر » نبحث عن أسباب الجرائم ، واننا لو بحثنا عن هذا لوجدنا غالب أسباب الاجرام ترجع [أولا] الى الحاجة والفقر [وثانيا] عدم العمل خصوصا من ذوي النفوس الشريرة فان عطلة هؤلاء من العمل كثيرا ما تستدعي الاسترسال في فكرة احداث الشرور والجرائم [وثالثا] الطيش وسورة النفس التي يحدثها تعاطي المسكرات [ورابعها] الخصومات والمشاكل والاحقاد والضغائن التي كثيرا ما ينبتها التنافس في وسائل الحياة والتزاحم على أسبابها وان هذا التنافس وذلك التزاحم لطبيعي للاجتماع البشري

فأما السبب الاول للاجرام وهو الحاجة والفقر فقد وضع الاسلام لاقتلاع جذوره نظاما ماليا من أحكم النظم الاجتماعية في توزيع الثروة بين أفراد البشر — ذلك النظام هو ما شرعه الاسلام من فريضة الزكاة : أوجب في مال ذي المال من نقود أو مواش أو زروع متى بلغ [illegible] أوجب فيه جزءا مخصوصا وكان من أحكم التشريع انه لم يرفع الحد الذي تجب به الزكاة بل تراه قد أوجب الزكاة على من بلغ اثني عشر [illegible] أخذ جزء من ماله، وتراه من جهة ثانية [illegible] فجعل واحدا من أربعين في بعض أنواع الثروة حتى لا يلحق أرباب الأموال ضرر مالي ، وبذلك نستطيع أن يتوفر لدينا مقدار من المال لا يبقى معه فقير ولا ذو حاجة وبذلك تكون قد استأصلنا [illegible] أسباب الجرائم جذورا

وأما العطلة من العمل فقد حرمها الشارع تحريما شديدا حتى أوجب على الانسان أن يباشر أدنى الاعمال حين لا يمكنه مباشرة سواه فترى الرسول يقول « لأن يحتزم أحدكم حزمة حطب فيبيعها خير له من أن يتكفف الناس » فلو أن الحكومة عملت على هذا المبدأ لشغل العمل نفوسا كثيرة من أن تفكر في احداث الجرائم والجنايات

وأما تعاطي المسكرات فقد جعل له الاسلام عقوبة مادية هي عقوبة الجلد فلو أنفذناها على متعاطي المسكرات لاقتلعنا سببا آخر من أسباب الاجرام

وأما المشاكل والخصومات والاحقاد والضغائن التي هي ضرورية للحياة التي لابد فيها من التنافس وتناقض الاغراض فمن المحال استئصالها وتطهير المجتمع منها

بوسائل الاصلاح أو وسائل المنع معا كانت تأثيراتها ـ لذلك ترى الشارع الحكيم وضع من المبادىء والتعاليم ما أراد به تخفيف أثر ذلك الاصل من الشرور والجرائم فتراه مثلا أوجب على الجار الاحسان الى الجار، وبالاحسان كما قررته الشرائع وقرره الاخلاقيون تستل الاحقاد والضغائن ، وتراه حرم التجسس وتتبع العورات لما في علم الشخص بأن آخر قد أدرك من عوراته ما يحاول اخفاؤه على الناس ـ من ألم النفوس المثير للضغائن والاحقاد

وحرم أن يعيب الانسان انسانا آخر في غيبته لما في ذلك أيضا من ايلام النفوس وإثارتها قال تعالى (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) وكذلك حرم الغش في المعاملات اذ الغش ليس الا صورة من صور سلب أحد المتعاملين مال الآخر بدون مقابل ولا شيء أثقل على النفس من أن تشعر بأنها قد سلبت شيئا من حقوقها

وكذلك حرم الربا اذ مآله أخذ أحد المتعاملين جزءاً من مال الآخر بلا مقابل ولمثل ذلك في النفوس أسوأ الآثار

وترى الاسلام [illegible] أنواع [illegible] لا يكاد يبقى معها سبيل للمشاحنات والمنازعات [illegible] كل بيئة أن يقوموا بالاصلاح بين كل متنازعين لما في ذلك من وقف تيار المنازعات المؤدي كثيراً الى أفظع الجرائم

كل هذه المبادىء التي ذكرتها وغيرها مما لم أذكره إنما قصد بها الشارع مجرد تخفيف أثر ذلك الاصل : أصل الخصومات والمنازعات . . وأما وقف تياره تاما أو تقليل أثره الى أدنى حد ممكن مع ردع النفوس التي بلغت في الشر والفساد مدى لا تؤثر معه ما شرعه الاسلام من وسائل الاصلاح ولا تعوقها وسائل المنع من الاجرام ـ فليس له من سبيل إلا اقامة هياكل العقوبات أمام أعين هؤلاء المجرمين

لذلك ترى الاسلام مع احكامه لوضع وسائل الاصلاح ووسائل المنع على ما رأيت ، لم يهمل أمر العقوبات الصارمة اذ يرى أن من الضروري لنظام المجتمع وتطهيره من الجرائم أو تقليلها الى أدنى حد ممكن ، اقامة عقوبات كالتي شرعها وان من يرى من علماء الاجرام أو علماء الاجتماع اكتفاء المجتمع بوسائل الاصلاح

او المنع من غير حاجة الى اقامة عقوبات تردع النفوس البعيدة المدى في الشر، لقصر في بحثه او تخطي، خطأ واضحا . . وان في كثرة الجرائم في أمريكا التي يتحدث عنها الكاتب كدولة وصلت الى أحدث النظريات في علاج الجرائم — لاكبر شاهد على أن المجتمع لاغنى له عن اقامة هيا كل العقوبات التي تردع بعض المجرمين ممن لايجديهم اصلاح ولا يعوقهم منع فصدق الله وكذب الجاهلون .

حامد محمود محيسن مدرس بمعهد الاسكندرية

احصائية عن الطلاق في أمريكا

ان الولايات المتحدة هي بلاد الاحصائيات وكل شؤونها يعبر عنه بالملايين، وإذا كان الامريكيون قد أحصوا مظاهر الجو وعدد السيارات التي يملكها الافراد وكل مايختص بالأشغال التجارية والألعاب الرياضية الخ فقد حق لهم أن يحصوا أيضاً أحوال الزواج والطلاق [illegible]

ولم تبا حكومة الولايات المتحدة [illegible] في سبيل الاحصاء ، فقد أجرت احصاء خاصا بالزواج خمس مرات في المدة الواقعة بين سنة ١٨٧٦ وسنة ١٩٢٣ وظهر اهتمام الناس بهذا الاحصاء ولا سيا انه صدر بجانب الارقام الجافة مذكرة تفسيرية شائقة ويمكن شراء كليها بمبلغ زهيد قدره عشرة سنتات (أي نحو عشرين مليا) فيلقي الامريكي بذلك نظرة عامة على الحالة الاجتماعية في بلاده . وقد ذكر الاحصاء أسباب الطلاق ، ولكنه للاسف لم يبين أسباب الزواج أيضا ، ولو فعل لكان أمراً شائقا يدعو الى دراسة عميقة

وقد عقدت في سنة ١٩٢٣ : ١٠٢٢٤٠٣٧٣ زواجا فاذا اعتبرنا كل من تخطى الخامسة عشرة من عمره كفأ للزواج كان المتزوجون في الولايات المتحدة ٤و٤١ في الالف من الاكفاء للزواج .

وفي نفس السنة حصل ١٦٥٠٢٢٦ طلاقا وقد فاق هذا العدد مثله في كافة السنوات السابقة، وكانت نسبة الطلاق في سنة ١٨٧٠ : ٨١ طلاقا لكل مائة ألف من السكان المتزوجين، أما في سنة ١٩٢٣ فقد بلغت هذه النسبة ١٦٠ في المائة ألف

ومن الـ ٢٢٦ر١٦٥ طلاقا الذي حدث في سنة ١٢٩٣ — ٥٨٢ر١١١ حادثة كان فيها الرجل هو المذنب و ٠٢٧ر٥٣ حادثة كانت المرأة فيها هي المذنبة ، فالرجل إذن يسبب الطلاق في ٦٧ر٨ في المائة من حوادثه

ولكن أسباب الطلاق هي أهم جزء من احصاء الحكومة الامريكية ، وقد قسمتها الى سبعة أنواع وقد يقسم أيضا بعضها. وهذه الاسباب هي الخيانة الزوجية والقسوة (وتحت هذه ستة عشر نوعا) والهجران بسوء قصد ، والادمان على السكر (ومنه تعود المخدرات) . وإهمال القيام بالنفقة البيتية ، والنوع الثالث هو اختلاط بعض الانواع السابقة ، والسابع يضم جميع الأسباب الاخرى (ومنها الاسباب غير المعروفة)

وكانت أكثر حوادث الطلاق مسببة عن القسوة وقد بلغت حوادثها ٥٨١٧٨ في سنة ١٩٢٣ وكانت أقلها حوادث الطلاق بسبب الادمان على الخمر ومثلها وكان عددها ٧١٣٩

وقد بين الاحصاء أيضا عدد الزوجيات التي انتهت بالطلاق ويظهر منه أن وقت الخطر الذي يتهدد فيه الطلاق هو عقيب السنة الثالثة من الزواج ولكن قد تكثر حوادث الطلاق أيضا بعد السنة الرابعة أو التاسعة من الحياة الزوجية ثم تقل كثيراً بعد ذلك وتكون الحياة الزوجية قد تأسست وقويت ، ويقل حصول الطلاق بعد أن تمضي عشرون سنة على الزواج ، ولكن لا أمان أيضا في هذه السن فان الاحصاء دل على حوادث طلاق وقعت بعد أن مضى على الزواج إحدى وعشرون سنة أو أكثر .

وأكثر حوادث الطلاق وقعت في السنوات العشر التالية للزواج ، وهي ثلثا مجموع الاحصاء

ويبين الاحصاء ان معظم حوادث الطلاق تسببها القسوة في السنوات الثلاث الاول للزواج وفي الأحوال التي تكون المرأة هي المذنبة يكون سبب الطلاق في أكثرها هو خيانتها لرابطة الزوجية وأكثر مايحصل ذلك منها في السنوات الاولى للزواج . وأما الرجل فيندر أن يخون زوجته — كما يظهر من الاحصاء — في العهد

الاول للحياة الزوجية وإنما تكثر خيانته من السنة الخامسة لعقد الزواج الى السنة التاسعة عشرة . ولكن القسوة من جانب الزوج تكثر في السنوات الثلاث الاولى ثم تقل بعد ذلك . وأما الهجر والادمان فعلى العكس

والآن لننظر ماذا نال الاطفال من جراء حوادث الطلاق ومن الزوجيات التي انتهت بالطلاق في سنة ١٩٢٣ وعددها ١٦٤٦٠٩ كان ٩٢١٤٠ دون أطفال أي ٥٦ في المائة وفي ٥٧٥٧٦ حالة منها كان للزوجين المطلقين أطفال ، ولم يدرك الاحصاء حالة الـ ١٤٨٩٣ الباقية . ومما تجدر ملاحظته أن المرأة كانت توافق على الطلاق اذا كانت لها أطفال أكثر مما لو لم يكونوا لها . وفي الـ ٥٧٥٧٦ من الاحوال التي كان فيها للمطلقات ١٠٦٠٣٤ طفلا حكم في ٤٣٢٤٩ حالة منها بأن تحضن الأم أطفالها

ولكن ليست هذه الأرقام والنسب كل ما حواه الاحصاء الامريكي الدقيق بل لقد ذكر أيضا إحصاءات بالنسبة لكل ولاية أمريكية مما لا يهم القراء

الشروع في عمارة الحرم القدسي الشريف

تسلم المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى في فلسطين ، زمام إدارة الاوقاف والمحاكم الشرعية الاسلامية عام ١٣٤٠ هجرية ووضع نصب عينيه منذ ذلك العام أمر الشروع في تعمير بنيان الحرم القدسي الشريف المشتمل على المسجد الاقصى أول القبلتين وثالث الحرمين وقبة الصخرة الشريفة ، الدرة اليتيمة بين المباني الشرقية النفيسة والآثار الاسلامية الخالدة وما يتبعها من الابنية الاثرية المختلفة التي أحاطها المكان المقدس ببركاته ، ومسح عليها الفن من نتائج القرائح المتوقدة بيدائعه وذلك لان هذه الآثار القيمة قد أحاطها البلى من كل جانب ، فتصدع بعض أقسامها ، وتأكل بعض آخر من عوامل الجو المستمرة ، حتى كاد معظمها يشرف على الاندثار لا سمح الله ، لان هذه الابنية النفيسة لم تتناولها يد الاصلاح الجدي منذ أجيال عديدة ، وجل ما كان يجري فيها من العمارة ينحصر في ترميم سطحي بسيط لا أثر للمتانة ولا للفن فيه .

فلما أخـذ المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى على عاتقه شرف القيام بهذا المشروع فكر في تسليم إدارته الفنية الى المهندس القدير المرحوم كمال الدين بك وهو أشهر المهندسين المتخصصين في المباني الاسلامية ففاوضه في هذا الامر كتابة ثم استدعاه من مقره في الاستانة ففحص هذه الابنية فحصاً فنيا دقيقا وقرر أن مشروع التعمير يحتاج الى مالا يقل عن (١٥٠٠٠٠) على أن يقوم بالعمل هيئة فنية مؤلفة من عدد من المهندسين برياسته . ثم رجع الى الآستانة وعاد منها مستصحباً ثلاثة ممن يعتمد عليهم من المهندسين القديرين وأضاف اليهم مهندساً آخر من القدس الشريف وأخذ ينظم الخطط الفنية للقيام بهـذا العمل الكبير . فلما تم ذلك ، عقد المجلس الاسلامي الأعلى مؤتمراً فنياً من عشرة مهندسين اثنين من كبار مهندسي مصر أوفدتهما الحكومة المصرية بطلب المجلس الأعلى الاسلامي ، وثلاثة مهندسين من حكومة فلسطين ومهندسي الهيئة الفنية المذكورة فبحثوا هذه الخطط الموضوعة وختموا اجتماعهم باتخاذ القرار الآتي :

بعد الفحص والتدقيق في حالة بناء المسجد الأقصى وخصوصاً الجزء السفلي منه ، والمشاريع الثلاثة التي قدمها كمال الدين بك والتقرير الذي قدمه المندوبان المصريان مصطفى حمدي بك القطان ومحمود افندي أحمد ، وبعد البحث الوافي ، تقرر بالاجماع قبول المشروع الثاني ، وأساسه تقوية البناء مع المحافظة عليه جهد المستطاع

أما تفاصيل هذا المشروع فهي كما يلي :

صلب المجموع ، تقوية الأسس ، تقويم الاعمدة ، تجديد الاوتار الخشبية (الشدادات) حفظ العقود والمقرنصات ورقبة القبة (الكرسي) وبقدر المستطاع حفظ القبة نفسها وبالاجمال كل ترميم أو تجديد يجده كمال بك ضروريا ومستطاعا فيما عدا ماذكر .

« وتزيد الهيئة على ذلك أنه وإن كان المشروع الاول المتعلق بالتجديد ، والذي اختاره المعمار كمال الدين بك هو ذو نتيجة أقوى وأجمل إلا انها تؤثر بالاجماع المشروع الثاني المذكور أعلاه ، والموافق لتقرير المندوبين المصريين ، لاعتبارات أثرية ودينية واجتماعية »

وبهذه المناسبة ترى الهيئة انه يستحسن أن يعطى كمال الدين بك الحرية التامة في اختيار الوسائل التي ستتبع ، وتقرير الاجراءات التي ستتخذ لتنفيذ الاعمال المقررة في المشروع المذكور أعلاه وإنهائها على أحسن وجه .

« وترى الهيئة ان هذا العمل ضروري ودقيق وانه لابد من إعطاء كمال الدين بك الذي سينفذه الحرية في أن يختار كل مايحتاج اليه من العمال الفنيين ، وأن يتخذ كل التدابير الاحتياطية الخاصة التي يقتضي اتخاذها في مشروع دقيق كهذا »

« ثم تود الهيئة أن تبدي عظيم ارتياحها لما رأته من الدقة والمهارة اللتين أظهرهما الاستاذ المعمار كمال الدين بك وهيئته الفنية في درس المسألة والمشاريع التي هيأها . وأن تظهر أيضاً ثقتها محجمة بذلك التحضير الدقيق المحكم ، ومنه تبدو بجلاء تمام الاهمية الكبيرة التي تشتمل عليها هذه القضية الدقيقة وتفاصيلها وفروعها . وعلى هذا وضعت هيأة المؤتمر هذا القرار النهائي بكل ثقة » في ٢٣ شباط سنة ١٩٢٤

جمع نفقات العمارة

أيقن المجلس الاسلامي الأعلى انه لايتأتى القيام بمشروع هذه العمارة إلا إذا قام المسلمون عامة ملوكهم وأمراؤهم وشعوبهم بمساعدته مساعدة جدية لما يتطلبه من النفقات الكبيرة ، فقام باذاعة دعوة عامة وجهها الى مسلمي العالم كافة يستصرخهم باسم الاسلام والحضارة الاسلامية والفن الاسلامي أن يقبلوا على مؤازرة هذا المشروع . وقد نشرت الدعوة باللغات الاسلامية في أنحاء العالم الاسلامي ، ثم أوفد الوفود الى مصر والحجاز أولا وثانيا ، والاستانة والهند والعراق ، وجمع الاموال من هذه البلاد بمقادير مختلفة ووردت اليه الاعانات من بلاد أخرى تتضح مبالغها جميعا من مطالعة البيان المالي الآتي :

بيان الواردات باعتبار الأقاليم

مليم	جنيه مصري	الجهة المتبرعة
٢٤٨	١٦٤٧٨	من صندوق المجلس الاسلامي بفلسطين والواردات المحلية

مليم	جنيه مصري	الجهة المتبرعة
٣٧٥	٤٢٣١	من أهالي فلسطين
٧٣٣	٣٨٧٦١	من الحجاز
٦٠٨	٢٣٧٨٨	من الهند
٣٢٢	٦٢٠٦	من العراق
٥٢٠	١٣٦٢	من الكويت
٧٨٠	٢٦٨١	من البحرين
٦٣٥	٦١٢	من المحمرة
٧٠٠	٣٣٨	من سورية
٤٤٠	١٩	من تركيا
٨٦٠	٣٠٦	من مصر
٩٢٠	٤٨	« المهاجرين في أميركا
١٤١	٩٠٤٨٣٧	



(طريقة الانفاق)

اقتضى المشروع أن يكون له في القدس لجنة مركزية تشرف على سيره وتتولى إدارة شؤونه المالية إدارة منظمة حسب الاصول الفنية والمالية فعين المجلس الاسلامي لجنة مؤلفة من نخبة من أعيان البلاد الخبيرين والموثوق بهم لهذه الغاية سميت لجنة عمارة الحرم الشريف وطلب المجلس الاسلامي الاعلى الى جميع الاقطار الاسلامية التي اشتركت في نفقة العمارة أن ترسل كل منها عضواً من قبلها يمثلها في هذه اللجنة .

وقد قامت هذه اللجنة بواجباتها وأعمالها حق القيام ، فوضعت السجلات والدفاتر المنظمة لجميع المعاملات الحسابية وضبطت قيود أعمالها ضبطا محكما وراقبت شراء المواد المقتضاة وأشرفت على أهم الامور الادارية في هذا المشروع .

ويتضح للقارىء من البيان التالي مجمل الواردات والنفقات لغاية ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٦ الموافق غاية مارس سنة ١٩٢٨ التي كان المجلس الاسلامي الأعلى يرسل بيانات بتفاصيلها الى كبار المتبرعين والصحف المختلفة في كل شهر .

(الواردات السنوية)

مليم	جنيه	
٤٣	٢٠٣٨٦	عن ١٤ جماد أول سنة ٤١ لغاية ٢٣ جماد أول سنة ٤٢ الموافق سنة ٢٣
٣٩٦	٥٦٦٠٤	« ٢٤ « « ٤٢ « ٥ « ثاني ٤٣ « « ٢٤
٢١	١١١٦٠	« ٦ « ثاني ٤٣ « ١٦ « « ٤٤ « « ٢٥
٤٤٥	٣٠٢١	« ١٧ « « ٤٤ « ٢٦ « « ٤٥ « « ٢٦
٩٥٢	٣٣١٧	« ٢٧ « « ٤٥ « ٨ رجب ٤٦ « « ٢٧
٣١١	٣٥٧	« ٩ رجب ٤٦ « ١٣ ذي الحجة ٤٦ « « ٢٨
١٤١	٩٤٨٣٧	المجموع

(نفقات عمارة المسجد الاقصى)

مليم	جنيه	
٣٦٧	٧١٩٨	المصروف من صندوق الاوقاف لغاية ١٩ محرم سنة ٣٤٢ الموافق [illegible] سنة ٩٢٣ [illegible] لعمارة المسجد الاقصى
٧٧٤	٣٢٤٢	نفقات عن ٢٠ محرم لغاية ٢٣ جماد أول الموافق عن أيلول لغاية كانون أول سنة ٩٢٣
٦١٥	١٧٤٠٣	نفقات عن ٢٤ جماد أول سنة ٣٤٢ لغاية ٥ جماد ثاني ٣٤٣ الموافق سنة ١٩٢٤
٨٢٨	١١٣٨٠	نفقات عن ٦ جماد ثاني سنة ٣٤٣ لغاية ١٦ جماد ثاني سنة ٣٤٤ الموافق سنة ١٩٢٥
١٩٣	٦٤١٢	نفقات عن ١٧ جماد ثاني سنة ٣٤٤ لغاية ٢٦ جماد ثاني سنة ٣٤٥ الموافق سنة ١٩٢٦
٦٢	١٥٩٢٦	نفقات عن ٢٧ جماد الثانية سنة ٣٤٥ لغاية ٨ رجب سنة ٣٤٦ الموافق سنة ١٩٢٧
٧٦٤	٩١٩٦	نفقات عن ٩ رجب سنة ٣٤٦ لغاية ١٣ ذي الحجة سنة ٣٤٦ الموافق غاية مارس سنة ١٩٢٨
٤٤٣	٦٧٧٣٠	المجموع

(اتمام عمارة قبة المسجد الأقصى)

وقد تمت بتوفيقه تعالى عمارة قبة المسجد الاقصى وما يحيط بها من المباني المتداعية على أكمل وجه حتى إن زلازل فلسطين الاخيرة على شدتها لم تحدث في الامكنة التي عمرت تأثيراً ما على حين ان جملة من الابنيــة الكبرى في القدس تصدعت مما دل دلالة صريحة على أن العمارة الجديدة قد جرت على الاصول الفنية بحيث أصبح البناء يتحمل صدمات العوامل الطبيعية وقد شهد بذلك المهندسون الذين زاروا المكان فشاهدوا متانة عمارته واتفقوا على أنه لو لم يبادر المجلس الى عمارة قبة المسجد لدمرها الزلزال تدميرا

(حفلة افتتاح عمارة المسجد الاقصى)

ومما تفضل الله تعالى عليه أن [illegible] هذا المشروع على يد المجلس الاسلامي الاعلى الذي رأى من الحق عليه أن يفتتح هذا القسم من العمارة بحفلة حافلة يدعو اليها عظماء العالم الاسلامي ومن [illegible] هذا المشروع [illegible] مادية أو أدبية . وقد اختار لذلك يوم مولد سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم من هذا العام أي في ١٢ ربيع الانور سنة ١٣٤٧

وتعد الهيئة الفنية لهــذه العمارة تقريراً فنياً وافياً عن هــذا المشروع إجمالا وتفصيلا وستوزعه على المحتفلين وتنشره بعدئذ في العالم الاسلامي بمختلف اللغات والله ولي التوفيق .

أنباء العالم الإسلامي

« اختيار الشيخ محمد مصطفى المراغي »

(شيخاً للازهر والمعاهد الدينية)

مرت بضعة أشهر على وفاة المرحوم الشيخ أبي الفضل الجيزاوي والحكومة في حيرة من اختيار خلف له وقد جعل القانون أمره إلى رئيس الوزارة حتى وفق صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا إلى اختيار هذا الرجل — ولعمري انه لم يكن

في البلد من يصلح لهذا المنصب في هذا الوقت غيره حتى احتيج إلى هذا الوقت الطويل لمعرفته - وهو رئيس المحكمة الشرعية العليا أي أكبر رجال القضاء الشرعي - ولكن اختياره على أولئك النفر من المرشحين للمنصب على المعهود في التقاليدين كبار الشيوخ هو الذي اقتضى طول الروية والبحث من قبل والوزراء أهواء مختلفة ولكل من أولئك المرشحين انتماء إلى وزير كبير أوضلع مع حزب من الاحزاب السياسية التي يعد أولئك الوزراء من زعمائها ، فكانت آية إخلاص مصطفى النحاس باشا في اختياره للشيخ محمد مصطفى المراغي انه فضله على بعض الشيوخ الموالين للوفد المصري المعدودين من حزب السعديين وذلك بعد أن أخبره عن آرائه من ثقات الازهريين المستبرين من لا يمترى في معرفتهم وحسن نيتهم ، وهو يعلم مع هذا انه أعطى منصبه الشرعي حقه لم ينتم إلى حزب من الاحزاب ولم يتزلف إلى وزير من الوزراء كما انه لا يعادي حزبا ولا وزيرا من [illegible] وانه مرضي لدى جلالة الملك

إن بيان ما أجملته من الحكم أن هذا المنصب لا يصلح له في هذا الوقت الا هذا الرجل يتوقف تفصيله على بيان [illegible] المتعددة وبيان مزايا الشيخ العقلية والادبية [illegible] المختلفة وما يحتاج اليه الاسلام من التجديد والاصلاح وفوق هذا كله استقلاله في فهم الدين والعلم فهو في الذروة العليا من نجباء تلاميذ الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) فعسى أن يجعله الله هو المتمم لما بدأ به أستاذه وأستاذنا من اصلاح الازهر

كنت أود أن مكنتني صحتي من التفصيل الذي أشرت اليه ولكنني لا أزال مريضا وقد كتبت هذه الكلمة وأنا مستلق في سريري والى الله المشتكى وهو المسؤل بتعجيل الشفاء

﴿ اعتذارنا للقراء بمرضنا ومصائبنا ﴾

قد علم القراء ما كان من أمر مرضنا وما كان لنا أن نكتمه عنهم ، وقد كانت رطبة الحمى خفت حتى قلما تتجاوز الدرجة ٣٨ فكتبنا تفسير هذا الجزء وباب الفتاوى وباب الانتقاد على التفسير وعرض لنا بعد ذلك التهاب شديد في اللوزتين فارتفعت الحمى زهاء أسبوع ثم خفت بزواله ثم عادت الى الارتفاع حتى منعنا الاطباء من الخروج الى المكتب ومن مقابلة الناس

وكنا جعلنا تاريخ هذا الجزء سلخ المحرم من السنة الجديدة ١٣٤٧ ولكن كاد شهر صفر أن ينتهي ولم نستطع كتابة شيء آخر مما كان في النفس فأذنا الادارة باتمام الجزء ببعض المختارات المفيدة من الصحف والرجوع في هذه الفرصة إلى تقريظ الكتب التي تأخر تقريظها وإصدار الجزء ، وسنجعل تاريخ الجزء الذي بعده سلخ ربيع الاول وما ندري هل يقدرنا الله تعالى على كتابة شيء منه أم لا ، والرجاء بفضله عظيم

﴿ وفاة فاضلة ﴾

ابتلينا في ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٦ بوفاة شقيقتنا البارة الفاضلة العاقلة السيدة الحاجة حفصة رحمها الله تعالى فلله ما أخذ ولله ما أعطى وما أبقى وإنا لله وإنا اليه راجعون

﴿ كلمة إلى حضرات المشتركين ﴾

ان دخلنا في هذه البضعة الاشهر التي تضاعفت فيها نفقاتنا بسبب الامراض وغيرها كان أقل مما كان في مثلها من كل عام ف[illegible] الوفاء والمروءة من المدينين لنا باشتراك المنار او أثمان الكتب أن يعجلوا بإرسال جميع المتأخر لنا عندهم ونحن نعده لهم في هذا ال[illegible] قد أحسنوا القول في أداء الحق الذي عليه فهو أمر [illegible] الدنيا والآخرة

تقريظ المطبوعات الحديثة

روح الاشتراكية

تأليف الدكتور غوستاف لوبون وترجمة الاستاذ عادل زعيتر خريج جامعة باريس ، عني بنشره إيليا افندي انطون الياس صاحب المطبعة العصرية ، ثمنه ٢٠ قرشا مصريا

الدكتور غوستاف لوبون عالم أوربا الاجتماعي الشهير وصاحب المؤلفات وصاحب المؤلفات الاجتماعية الفذة ، لايحتاج عند جمهور القراء إلى تعريف ، خصوصا وقد اشتهر هذا العالم الجليل بدرس الشؤون الشرقية عامة والعربية خاصة وله عطف على الشعب العربي وعناية كبيرة بمدنيته التي ظهرت آثارها بكتابه الشهير (حضارة العرب) حتى إن جماعة من أدباء مدينة بيروت كانوا أقاموا له حفلة شكر

في مدنيتهم اعترافا بفضله وشكراً لا اضافه لأمتهم العربية كما اشتهر هذا الفيلسوف بالابتعاد عن التعصب والتصريح بالحقائق التي يحاول معظم علماء الغرب ورجاله سترها كتعصب أوربا ولا سيما فرنسا موطنه ضد الحكومات الاسلامية والاسلام

كان آخر ماألف الدكتور غوستاف هذا الكتاب (روح الاشتراكية) بعد سر تطور الامم ، وروح الاجتماع ، والآراء والمعتقدات ، والثورة الفرنسية ، فجاء كتابا قيما في ابحاثه جليلا في مراميه ، عز على صديقنا الاستاذ عادل زعيتر أحد أركان النهضة العربية أن تحرم الأمة العربية من عرفانه ، فعني بترجمته ترجمة سلسة فجاءت حلة قشيبة من حلل العربية التي تكتسي بها مؤلفات الغرب ، فنثني على همة المترجم ونرجوا أن يوفق الى انتخاب أمثال هذه الاسفار القيمة ونحث القراء على اقتناء هذا الكتاب النفيس

لكن هذا الكتاب كأمثاله في جملته لا يخلو من نظريات مخالفة للاديان لا يعسر على علماء الدين المحققين تأييد جانب الدين فيها

(علم الاجتماع)

علم حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها تأليف الاستاذ الفاضل نقولا افندي حداد صاحب مجلة السيدات والرجال بمصر

لزميلنا الاستاذ حداد عناية ثابتة بالعلم والشؤون الاجتماعية ورغبة جليلة في التأليف والابتكار ، وقد ألف منذ ٢٠ عاما أو أكثر رواية حواء الجديدة وعرضها على كبار الكتاب في مصر وغيرها فحازت استحسان جمهور المفكرين ، وبالرغم من اشتغاله بالصيدلة لا يدخر وسعاً في مواصلة الابحاث العلمية والاجتماعية وقد أخرج لنا هذا الكتاب (علم الاجتماع) يبحث في كيفية تكون المجتمع وأطواره وفي عقلية الجماعات والرأي العام وفي العوامل المختلفة التي كونت المجتمع وطورته وفي اشتراك هذه العوامل وتوازنها ، بأسلوب سهل وعبارة مستفيضة بالامثال التي تقرب الموضوع الى الاذهان، وقد جاء الكتاب في جزءين كل جزء زهاء ٣٥٠ صحيفة من القطع الكبير وثمنهما ٥٠ قرشا وقد أخرجته بهذا الثوب الجميل المطبعة العصرية لصاحبها الفاضل إلياس افندي انطون إلياس فنثني على

همة المؤلف ونرجو للكتاب كل رواج يستحقه كما نستزيد صديقنا الاستاذ حداد من هذه المؤلفات الحديثة لدى قراء العربية

أمراض الاطفال الكثيرة الانتشار

للدكتور العالم الفاضل الاستاذ عبد العزيز بك نظمي الاختصاصي بأمراض الاطفال خدمة للعلم تذكر فتشكر ، فلا يمضي عام أو بعض عام حتى يتحف القراء بمؤلف جديد، وقد كان من أهم ما نقدم به جمهور القارئين والقارئات كتابه هذا فقد توسع في موضوع أمراض الاطفال الذي يهم العالم أجمع وخاصة سكان القطر المصري لكثرة وفياته وجاء ببيانه مهم من طرق الوقاية والمعالجة والاسعافات المفيدة النافعة ، طبع على ورق جيد تبلغ صفحاته ٣٣٣ صفحة وثمنه ٢٥ قرشا فنشكر لمؤلفه خدمته هذه للعلم ونحث القراء على مطالعته والاستفادة منه

تهذيب الكامل

تأليف الاستاذ الفاضل [illegible] في جزءين كل جزء منهما يتجاوز ثلاثمائة صفحة من القطع [illegible] قرشا جعل الجزء الاول في المنثور والثاني في المنظوم

وقد ذكر مؤلفه ان كتاب الكامل للمبرد على شهرته الواسعة وكونه من أنفع كتب الادب وأغزرها مادة قد صدر عن مؤلفه خاليا من فهرس يرشد القارىء الى مراميه ومختلطا بعضه ببعض اختلاطا يبعد الاستفادة منه ، وانه هو قد وفق الى رده الى أبواب مرتبة يحتوي كل منها على طائفة متناسبة من أنواع الكلام وضروب القول غير تارك منه شيئا دون الالمام به ثم أخرج ما فيه من تعليقات لأبي الحسن عن الصلب الى الهامش مع بعض زيادات له ، وقد جعل في الجزء الاول المنثور في أربعة أبواب: باب الخطب والوصايات والمواعظ وباب الكتب والعهود والرسائل ، وباب الحكم والامثال والجوامع ثم باب النوادر والاخبار والاحاديث والقسم الثاني المنظوم يشتمل على ستة أبواب وذيل أما كون كتاب الكامل من أركان كتب الادب فهو مما اتفق عليه المتقدمون الذين كانوا يتدارسونه — كما قال ابن خلدون — والمتأخرون الذين كانت همهم دونه وأما الحاجة إلى تهذيبه هذا فقد جعله قريب

المتداول من جميع طلاب الادب وكان لاينظر فيه إلا الافراد من أساتذتهم فنرجو للكتاب الاقبال والرواج كا نود أن يوفق مؤلفه الى ترتيب كتب أخرى من الكتب الثمينة التي خلت من الفهرس مع شدة حاجتها اليه

الفتاوى الطرسوسية أو أنفع الوسائل الى تحرير المسائل

تأليف العلامة قاضي القضاة نجم الدين ابراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد الصمد الطرسوسي المتوفى سنة ٧٥٨ هجريه صححه وراجع نقوله الاستاذان الشيخ مصطفى محمد خفاجي المدرس بقسم التخصص في القضاء الشرعي والشيخ محمود ابراهيم من خريج قسم التخصص المذكور . وقد جمع هذا الكتاب مالم يشمله قبله كتاب خصوصا مايتعلق بالوقف والقضاء، حتى كان عمدة لافاضل العلماء السابقين ومرجعاً ثقة للمتأخرين ، وقد عانا المصححان كثيراً في ضبط الكتاب لاختلاف في النسخ الخطية الموجودة فنثني على همتهما ونرجو أن يتمتع أهل العلم بمزايا هذا السفر الجليل ، وقد عني بطبعه في مطبعة الشرق فجاء نظيفا على ورق مصقول من القطع المتوسط [illegible]

التهذيب في أصول التعريب

تصنيف الدكتور العالم الفاضل الاستاذ أحمد عيسى بك لايجهل قراء الصحف والمجلات الابحاث القيمة التي يعالجها صديقنا الاستاذ الدكتور أحمد عيسى بك والمتتبعون لسير العلم يقدرون باهتمام مصنفاته الادبية وما وفق الى ترجمته من الكتب المفيدة وقد بدا له أن يضع هذا السفر في أصول التعريب فذكر فيه خلاصة مارآه من العقبات في مزاولة الترجمة والتعريب وأهمها في نظره قلة المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الاعجمية ، والثانية تعريب مايمكن تعريبه من المصطلحات التي يعسر ايجاد لفظ يقابلها ويحل محلها، ثم عزز رأيه : بأن العرب في ابان نهضتهم لما احتاجوا الى اقتباس شيء من علوم الامم المتحضرة التي تقدمتهم اضطروا بحكم الضرورة الى تعريب الكثير من الالفاظ في مختلف العلوم سواء كانت أعلاما على بلدان أو على أشخاص أو أسماء معاني لا مدلول لها في لغتهم ، أو انهم خافوا على تلك الالفاظ من الالتباس إن هم ترجموها ولم يوجدوا اللفظ الاعجمي بجانبها يوضحها ، فقضت ضرورة الحال بتعريبها وإدماجها في لغتهم